نقد الشعر

لأبى الفرج قدامة بن جعفر

ضبطه وشرحه وصدره بترجمة للمؤلف
وبحث فى النقد الأدبى

محمد عيسى منون
بكلية اللغة العربية

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م

الطبعة الأولى — حق الطبع محفوظ للشارح

المطبعة المليجيه

اهداء الكتاب

إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل ركن الأدب والفصاحة، ومصدر العلوم والبلاغة الشيخ (ابراهيم حمروش) شيخ كلية اللغة العربية . أهدى اليك يامولاى هذا الكتاب الذى اقتطفت ضبطه وشرحه من دوحتك الزاهرة، وارتشفت معانيه من غينك الغزير.

سائلا المولى جل وعلا أن يبقيك للعلم وأهله أبا بارا ومثقفا حكيما .

المخلص

محمد عيسى منون

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

قدامة بن جعفر

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر كان أحد الفلاسفة الفضلاء ، والبلغاء الفصحاء وممن يشار إليه بالبنان فى علم المنطق والفلسفة ، وكان من العلماء المتقدمين فيهما

نشأته :

نشأ فى بغداد وذاع صيته . وعلا شأنه فى أيام المكتفى بالله الخليفة العباسى فقد أسلم على يديه وكان قبل ذلك نصرانيا . وكان أبوه جعفر ممن لا يفكر فيه ولا علم عنده فنشأ مهجورا من أبيه لا ينظر إليه ولا يفكر فى شأنه .

وقد روى (١) من أمر قدامة أن أبا حيان ذكر أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة أبى سعيد السيرافى ومتى المنطقى فى سنة ٣٢٠ قال محمد بن اسحق : (وذكر أن له كتبا كثيرة ثم قال :) وبلغنى عن بعض متعاطى علم الأدب أنه شرح كتاب المقامات الحريرية فقال عند قوله « لو أوتى بلاغة قدامة »

إن قدامة بن جعفر كان كاتبا لبنى بويه وجهل فى هذا القول فأن قدامة كان أقدم عهداً أدرك زمن ثعلب والمبرد وأبى سعيد السكرى وابن قتيبة وطبقتهم والأدب يومئذ طرىء فقرأ واجتهد وبرع فى صناعتى البلاغة والحساب وقرأ صدرا صالحا من المنطق وهو لائح على ديباجة تصانيفه وإن كان المنطق فى ذلك العصر لم يتحرر تحريره الآن واشتهر فى زمانه بالبلاغة ونقد الشعر وصنف

---

(١) معجم الادباء لياقوت الرومى ج ٦ ص ٢٠٣

فى ذلك كتبا منها كتاب نقد الشعر له وقد تعرض ابن بشر الآمدى إلى الرد عليه وله كتاب فى الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل مايحتاج الكاتب إليه وهو من الكتب الحسان . إلى غير ذلك من الكتب . ولم يزل يتردد فى أواسط الخدم الديوانية بدار السلام سنة ٢٩٧ فان الوزير أبا الحسن بن الفرات لما توفى أخوه عبدالله جعفر بن محمد بن الفرات فى يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٢٩٧ وكان أسن من أخيه أبى الحسن بن محمد بن الوزير بثلاث سنين رد ما كان اليه من الديوان . المعروف بمجلس الجماعة الى ولده أبى الفتح الفضل بن جعفر واليه ديوان المشرق ثم ظهر له بعد ذلك اختلال من النواب فولاه لولده أبى أحمد المحسن واستخلف المحسن عليه القاسم بن ثابت وجعل قدامة ابن جعفر يتولى مجلس الزمام فى هذا الديوان وبانت عند ذلك صناعة المحسن وأثار من جهة العمال أموالا جليلة

مؤلفات قدامة :

له من المؤلفات كتاب الخراج تسع منازل كان ثمانية منازل فأضاف اليه تاسعا . كتاب نقد الشعر ، كتاب صابون الفحم . كتاب صرف الهم . كتاب جلاء الحزن . كتاب ديارق الفكر . كتاب السياسة . كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام . كتاب حشو حشاء الجليس . كتاب صناعة الجدل . كتاب الرسالة فى أبى على بن مقلة . وتعرف بالنجم الثاقب . كتاب نزهة القلوب . وزاد المسافر كتاب زهر الربيع فى الأخبار وقد شرح كما تقدم كتاب المقامات الحريرية .

وفاته :

كانت وفاة قدامة بن جعفر فى بغداد أيام المطيع سنة ٣٣٧

هذا ما أمكننى جمعه واستخلاصه من أخبار قدامة بن جعفر أثبته هنا والحمد لله أولا وآخرا ؟

النقـــــد

النقـد هو تمييز الخبيث من الطيب ، والصالح من الضار من كل شأن إلى شؤون هذا العالم : من علوم وآداب وأخلاق وصناعات ، وفنون ، وسياسات إلى غير ذلك من أمور الحياة وهو مفطور فى الانسان من منذ نشأته . فهو يميل إلى الصالح النافع ، ويتباعد عن الضار الممقوت .

النقد الادبى : هو نوع من أنواع النقد العام . إذ يراد به تناول الكلام للأديب ومعرفة صائبه من خاطئه وتمييز مابه من ضعف وقوة ، وقبح وحسن .

فالنقد الادبى : إذاً هو دراسة بحث وتحليل وتمحيص للشعراء والنثار فى ألفاظهم ومعانيهم وأرائهم وأخلاقهم .

النقد الادبى عند العرب

تاريخه :

النقد الادبى عند العرب قديم جداً يرجع تاريخه على الأقل إلى تاريخ الشعر الجاهلى منذ الطبقة الاولى : والامة العربية أمة شاعرة بطبعها وفطرتها لما فطرهم الله عليه من صدق الحس وقوة العاطفة ، ودقة الوجدان . فكان همهم الاجادة فى القول والتنقيح فى اللفظ . وكان العربى منهم لايطلب من وراء كلامه إلا التباهى بالفصاحه ، وحسن البيان . فكان لزاما ان يكون العرب وقد وصلوا الى هذه المثابه من أطبع الناس على النقد لانصرافهم الى الشعر والأجادة فى تنقيحه وخصوصا عند مافشا التكسب بالشعر ونشأت طبقة الصناع المنقحين المعروفين بعبيد الشعر أمثال النابغة والأعشى وزهير . وقد ظهر النقد عندهم بأكمل معانيه فى أسواقهم أيام الجاهلية عند ما كانوا يحتكمون إلى أولى الرأى فيها لتمحيص ما احتكموا فيه وكان النابغة قبة تضرب فى عكاظ يتحاكم فيها الشعراء

فيسمع اليهم ويفاضل بينهم وقصته مع الأعشى والخنساء وحسان مشهورة . لهذا كان هذا الاجتماع العام كل سنة دافعاً للعرب على توخى المثل الأعلى فى القول وتجويد المنطق وإرهاف اللسان .

ولما جاء الأسلام وسمع العرب القرآن الكريم . وأدركوا مافيه من بلاغة وإعجاز ؛ ودقة معنى ؛ ورقة أسلوب . وبهرهم بآياته البالغة . وحكمه النادرة فتذوقوا من حلاوته ؛ وتعبدوا بتلاوته فرق طبعهم . وسلس أسلوبهم وهجر بعض فحولهم عادته فى قول الشعر (كلبيد) فقد عكف على القرآن يتذوق من حلاوته ، ويزود النفس من محاسن بلاغته وانقطع عن قول الشعر فلم يقل فى الأسلام إلا بيتاً واحداً هو :

الحمد لله إذ لم يأتينى أجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا.

ومن لم ينقطع عن قول الشعر واستمر يقوله تركت فيه مفاجأة القرآن أثراً من الضعف جلياً أجمع نقدة الشعر على لمسه وإحساسه ومن هؤلاء حسان بن ثابت الذى قال نقدة الشعر فى شعره إن حسان فى الأسلام دونه فى الجاهلية لما رأو من الفرق الظاهر بين شعره فى الجاهلية والاسلام وقد كان لهذا العصر أندية يتحاكمون فيها عند أولى الرأى لتمحيص كلامهم على إلسنة رواتهم

وفى العصر الأموى : كان للعرب أندية للنقد والمفاضلة بين الشعراء بالمدينة والكوفة . والبصرة ومكة كما حفلت بذلك مجالس الخلفاء والأمراء والولاة وكان العرب إلى هذا الوقت محتفظين بالمقدرة على النقد لأن الملكة كانت سليمة خصوصا فى رجال الأدب والعلم وأمراء الكلام .

وقد كان للنساء الحظ الأكبر فى هذا الميدان وكان أثرهن فيه كبير . ومن هؤلاء سكينه بنت الحسين ، وهند بنت المهلب . وفاطمه بنت عبد المطلب .

ومما زاد النقد رواجا فى هذا العصر ماحصل بين الشعراء من التجالد والتخاصم والمنافرة مثل الذى حصل بين جرير والفرزدق والأخطل مما كان له الاثر العظيم فى قوة الشعر والنهضة الأدبية فى هذا العصر .

وفى العصر العباسى : أخذ العلماء يؤلفون فى النقد وكان أول كتاب خرج فى هذا الفن كتاب معانى الشعر للأصمعى ثم كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى البصرى المتوفى عام ٢٣٢ وأخرج محمد بن مسلم كتاب آخر فى طبقات الشعراء إلى غير ذلك من المؤلفات التى ظهرت فى هذا العصر ككتاب نقد الشعر للكاتب البغدادى قدامه بن جعفر الذى أنا آخذ بضبطه وشرح أبياته بحول الله وقوته .

وقد ترتب على علو منزلة النقد فى هذا العصر أن وضع العلماء قواعد البلاغه التى أفضل مؤلفاتها ما كتبه الأمام عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ومثلها كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى .

وفى القرن الرابع : أخذ العلماء فى الاهتمام بوضع الموازنات بين الشعراء والكتاب . وكان من أجل ما كتب فى هذا الفن كتاب (الوساطه بين المتنبى وخصومه) لأبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى فقد أنصف الفريقين فى نقده إذ وازن بين سيئات المتنبى وحسناته واستخرج من هذه الموازنة علو منزلة المتنبى وجلالة قدره .

ثم كتاب العمدة لابن رشيق القيراونى المولود بالمهدية من أعمال تونس عام ٣٩٠ والمتوفى بمازر (من قرى صقليه) سنة ٤٥٦

ثم ظهر بعد ذلك كتب أخرى فى النقد المرجع فيها الى ما كتبه القدماء لاتختلف فى جوهرها عنها بشىء

وسنذكر أمثلة من النقد عثرنا عليها فى تراجم الشعراء أثناء البحث فنقول :

(١) روى أن طرفة بن العبد سمع وهو صبي منشداً يقول :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره   بناج عليه الصيعرية مكدم

فعابه بقوله (استنوق الجمل) لأنه وصف الفحل بالصيعرية وهي من سمات إناث الابل

(٢) وقد عابوا على امرىء القيس قوله :

أغرك مني أن حبك قاتلي   وإنك مهما تأمرى القلب يفعل

فقالوا إذا لم يغرها ذلك منه فما الذى يغرها ؟

(٣) كان النابغة كغيره من شعراء الجاهلية يقوى فى شعره فدخل المدينة وأهل الحجاز يعجبون به فدسوا له قينة تغنيه بشعره فى المتجردة وفى الأقواء وهو اختلاف حركة الروى فلما وصلت إلى قوله

زعم البوارج أن رحلتنا غدا   وبذاك خبرنا الغراب الأسود

أطالت ضمة الدال والقافية كلها بالكسر . ففطن إلى هذا العيب وأصلح شعره بقوله « وبذاك تنعاب الغراب الأسود » ثم قال : وردت يثرب وفى شعرى عاهة وصدرت عنها وأنا أشعر الناس .

(٤) روى أبو الفرج (فى الأغانى) أن وفد تميم قدموا على رسول الله ﷺ بخطيبهم وشاعرهم وفيهم يومئذ سادتهم : قيس بن عاصم ، والاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم ؛ وعطارد بن حاجب بخطب خطيبهم وأنشد شاعرهم ثم دعا رسول الله ﷺ قيس بن شماس فرد عليهم بخطبة طويلة وأنشد حسان قصيدته :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم   قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته   تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا

فقال قائلهم وهو الأقرع بن حابس أحد رجال الوفد والله إن هذا الرجل يريد (النبي) لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ثم أسلموا فأجازهم النبي ﷺ فأحسن إجازتهم

(٥) أراد جرير أن يذكر عفوه عن بني غدانة حين شفع فيهم عطية بن جعال. فهجاهم أقبح هجاء حيث يقول :

أبني غدانة إنني حررتكم ووهبتكم لعطية بن جعال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم مابين ألأم آنف وسبال

فقال عطية لما سمع الشعر ما أسرع أخي في عطيته .

(٦) أنشد عبد الملك قول نصيب :

أهيم بدعد ماحييت فأن أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

فقال بعض الحاضرين أساء القول . يحزن لمن يهيم بها بعده قال عبد الملك لو كنت قائلا فماذا تقول ؟ قال :

أهيم بدعد ماحييت فأن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك أنت أسوأ قولا ثم قال الوجه أن يقال :

أهيم بدعد ماحييت فأن أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

(٧) قدمت ليلى الأخيلية على الحجاج فأنشدته :

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العقام الذى بها غلام إذا هز القناة سقاها

فقال لها قولى همام لاغلام

(٨) عابوا على النابغة الذبيانى أقتضابه فى قوله :

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض وليس الذى يرعى النجوم بآئب
على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

لأنه انتقل فجأة من وصف الليل إلى ذكر الممدوح من غير تخلص .

(٩) وقال أبو تمام :

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه بكفيك ماماريت فى أنه برد

فوصف الحلم بالرقه وإنما يوصف الحلم بالرزانة والرجحان كما قال الفرزدق :

إنا لتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال

(١٠) قال أبو نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد :

كيف لايدنيك من أمل من رسول الله من نفره

فأضاف الرسول الأمين ﷺ إلى ممدوحه وكان من أكبر الفخر له أن يضيفه إلى رسول الله .

مايجب أن يتوخاه الناقد

(١) أن يكون رائده الإصلاح والتهذيب، منتصراً للحق حيث وجد لامتعصباً لمذهب ولا مشايعاً لأحد .

(٢) أن يعتدل فى ميزانه فيذكر الحسنة والسيئه ويشير فى رفق وأدب لسان إلى الأخذ بما يراه حسناً .

(٣) يجب على الناقد قبل البحث فى كلام الشاعر أو الناثر ومعرفه مابه من ضعف وقوة، وحسن وقبح أن يدرس حياة الشاعر أو الناثر وأحوال زمانه والبيئة التى عاش فيها لما للبيئة والعصر من الآثار العظيمة التى عليها مدار حياة الانسان فى أقواله وأفعاله ومايصدر عنه من الآراء والآثار الأدبية كذلك يجب أن يضم إلى ماتقدم المؤثرات التى تحيط به من الفرح والحزن، والصحة والمرض والنعيم والبؤس والشدة والرخاء كل هـذا يجب أن يلاحظه الناقد فى حياة الشاعر أو الناثر لما لها من الخطر العظيم فى مقدار مايصدر عنه من الفنون الأدبية والآراء الخلقيه فمثلا إذا نظرنا إلى شعر امرىء القيس فى حياته قبل مقتل أبيه وبعده نجد الفرق ظاهراً فى ألفاظه ومعانيه وأسلوبه فنجـد شعره الأول الذى قاله عنـد ما كان يرفل فى بحبوبة الطرف وظلال النعيم والسعادة منهوماً بالشراب والصيد، مفتونا بصهوات الخيـل . سلساً رقيقاً يصور لك تلك اللذات العجيبة من الشراب والعشق والدبيب وركوب الخيل ومغازلة النساء والجلوس معهن ومداعبتهن إلى غير ذلك من أمور الخلاعة . ثم نظرنا إلى

شعره فى حياته الثانية الذى قاله بعد مقتل أبيه وقد انصرف عن اللهو والمجون والخلاعة الى شكاية الدهر وتقلب الأخوان نجده وهن بعض الوهن وأخذ يمدح ويهجو على غير عادته فهذا ونحوه يجب أن يلاحظه الناقد حتى يكون نقده صحيحاً لاريب فيه ولا اختلاق

(٤) يجب على الناقد أن يقصد من نقده الفائدة العامه التى تعود على المجتمع بالنفع وأن لايطلب من وراء نقده النيل من أعراض الناس والتشفي من الخصم فأن هذا ونحوه مما يسبب جفوة النفوس وأعراض الأدباء والعلماء عن الاعتراف والتصديق بل الواجب أن يكون نقده واقعاً موقعه خدمه للحق وإظهارا للحقيقة ؟

أبو عبد العزيز
محمد عيسى منون

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر لإتمامه

﴿ قال ابو الفرج قدامة بن جعفر ﴾ العلم بالشعر ينقسم أقساما فقسم ينسب الى علم عروضه ووزنه وقسم ينسب الى علم قوافيه ومقاطعه وقسم ينسب الى علم غريبه ولغته وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصد به وقسم ينسب الى علم جيده ورديئه . وقد عنى الناس بوضع الكتب فى القسم الاول وما يليه الى الرابع عناية تامة فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافى والمقاطع وأمر الغريب والنحو وتكلموا فى المعانى الدال عليها الشعر وما الذى يريد بها الشاعر ولم أجد أحدا وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا وكان الكلام عندى فى هذا القسم أولى بالشعر من سائر الاقسام المعدودة لان علم الغريب والنحو واغراض المعانى محتاج اليه فى أصل الكلام للشعر والنثر وليس هو باحدهما أولى بالآخر وعلما الوزن والقوافى وان خصا الشعر وحده فليست الضرورة داعية اليهما لسهولة وجودهما فى طباع أكثر الناس من غير تعلم . ومما يدل على ذلك ان جميع الشعر الجيد المستشهد به انما هو لمن كان قبل وضع الكتب فى العروض والقوافى ولو كانت الضرورة الى ذلك داعية لكان جميع هذا الشعر فاسدا او أكثره ثم ما نرى أيضا عن استغناء الناس عن هذا العلم بعد واضعيه الى هذا الوقت فان من يعلمه ومن لا يعلمه ليس يعول فى شعر اذا أراد قوله الاعلى ذوقه دون الرجوع اليه فلا يتوكد عند الذى يعلمه صحة ذوق ما تزاحف منه بأن يعرض عليه فكان هذا العلم مما يقال فيه إن الجهل به غير ضائر وما كانت هذه حاله فليست تدعو اليه ضرورة فأما علم جيد الشعر من رديئه فان الناس يخبطون فى ذلك منذ تفقهوا فى العلوم فقليلاما يصيبون ولما وجدت الامر على ذلك وتبينت أن الكلام فى هذا الامر أخص بالشعر من سائر الاسباب الاخر وأن الناس قد قصروا فى وضع كتاب فيه رأيت أن أتكلم فى ذلك بما يبلغه الوسع فأقول :

الفصل الاول

أن أول ما يحتاج اليه فى شرح هذا الامر معرفة حد الشعر الجائز عما ليس بشعر وليس يوجد فى العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه (١) أنه قول موزون مقفى يدل على معنى فقولنا قول دال على أصل الكلام الذى هو بمنزلة الجنس للشعر وقولنا موزون يفصله مما ليس بموزون إذ كان من القول موزون وغير موزون وقولنا مقفى فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافى له ولا مقاطع وقولنا يدل على معنى يفصل ماجرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى فانه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئا على هذه الجهة لامكنه وما تعذر عليه فاذ قد تبين أن ذلك كذلك وأن الشعر هو ما قدمناه فليس من الاضطرار إذاً أن يكون ماهذه سبيله جيدا أبدا ولا رديئا أبدا بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران مرة هذه وأخر هذه على حسب مايتفق فحينئذ يحتاج إلى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء. ولما كانت للشعر صناعة وكان الغرض فى كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال اذ كان جميع مايؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان أحدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة وحدود بينهما تسمى الوسائط وكان كل قاصد لشيء من ذلك فانما يقصد الطرف الأجود فأن كان معه من القوة فى الصناعة مايبلغه إياه سمى حاذقا تام الحذق فأن قصر عن ذلك نزل له اسم بحسب الموضع الذى يبلغه فى القرب من تلك

(١) وقد حده العلماء بحدود أخر فمنهم من جعله كلاما وأجوده أشعره ولم يشترط له وزنا ولا قافية ويدخل فى ذلك الحكمة والمثل اللذان يبنيان غالبا على صواب التشبيه وايجاز اللفظ. ومنهم من اشترط فيه الوزن دون القافية ومنهم من جعله موزونا مقفى وأجاز تعدد القافية. والجمهور على اشتراط الوزن ووحده بالقافية

الغاية والبعد عنها إذ كان الشعر أيضا جاريا على سبيل سائر الصناعات مقصوداً فيه وفي مايحاك ويؤلف منه الى غاية التجويد وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته . فاذ قد صح أن هذا على ماقلناه فلنذكر صفات الشعر الذي إذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة وهو الغرض الذي تنحوه الشعراء بحسب ماقدمناه من شريطة الصناعات والغاية الأخرى والمضادة لهذه الغاية هي نهاية الرداءة . واذكر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها ليكون مايوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها يسمى شعراً في غاية الجودة) ومايوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسما بحسب قربه من الجيد أو من الرديء أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه صالح أو متوسط أو لاجيد ولارديء فأن سبيل الأوساط في كل ماله ذلك أن تحد بسلب الطرفين كما يقال مثلا في الفاتر الذي هو وسط بين الحار والبارد أنه لاحار ولا بارد والمز الذي هو وسط بين الحلو والحامض أنه لا حلو ولاحامض . ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ماأريد أن أتكلم فيه أن المعاني كلها معرضة للشاعر وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى الغاية المطلوبة . ومما يجب تقدمه أيضا أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئا وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا بينا غير منكر عليه ولا معيب من فعله إذا أحسن المدح والذم بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها . وانما قدمت هذين المعنيين

لما وجدت قوما يعيبون الشعر إذا سلك الشاعر فيه هذين المسلكين فانى رأيت من يعيب امرء القيس فى قوله

فَمِثْلِكِ حُبلى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فألهيتُها عن ذِى تمائم مُحوِلِ (١)

إذا ما بكي من خلفها انصرفت له ... بِشِقٍّ وتحتى شِقُّها لم يُحوَّلِ (٢)

ويذكر أن هذا معنى فاحش وليس لخاشة المعنى فى نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب مثلا رداءته فى ذاته

وكذلك رأيت من يعيب هذا الشاعر أيضا فى سلوكه للمذهب الثانى الذى قدمته حيث استعمله باقتدار وقوة وتصرف فيه إحسانا وحذاقة وذلك قوله فى موضع

فَلو أنَّ ما أسعَي لأدنى معيشةٍ ... كَفانى ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ (٣)

ولكنَّما أسعَى لمجدٍ مُؤَثَّلٍ ... وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالى (٤)

(وقوله فى موضع آخر)

فتملأُ بيتنا إقطاً وسمناً ... وحسبُكَ من غنًى شِبعٌ ورِىُّ (٥)

فان من عابه زعم أنه من قبيل المناقضة حيث وصف نفسه فى موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنى المعيشة وأطرى فى موضع آخر القناعة وأخبر عن اكتفاء الانسان بشبعه وريه

---

(١) الطروق : الاتيان ليلا والفعل طرقه يطرق . المرضع : هى التى لها ولد رضيع . محول : أتى عليه حول . يريد أن يقول إنى رجل أفتن النساء ، حتى لا تنجو منى الحبلى ولا المرضع مع أنهما في شغل بالحمل والرضاع (٢) بشق شق الشيء نصفه الأعلى : وصف الشاعر غاية ميلها اليه وكلفها به حيث لم يشغلها عن مرامه ما يشغل الامهات عن كل شيء . في هذا البيت صورة فاتنة من صور الجماع (٣) يقول لو كان مطلبي الكفاف من العيش لكفانى القليل من المال ولم أسع لطلب الكثير . (٤) مؤثل : ثابت دائم . (٥) الاقط ضرب من الجبن ورّوي وتوسع أهلها

وإذ قد ذكرت ذلك فلا بأس بالرد على هذا العائب فى هذا الموضع ليكون فى ما احتج به بعد التطريق لمن يؤثر النظر فى هذا العلم الى التمهر فيه فأقول أنه لو تصفح أولا قول أمرىء القيس حق تصفحه لم يوجد معنى نقض معنى. فالمعنيان فى الشعرين متفقان إلا أنه زاد فى أحدهما زيادة لا تنقض ما فى الآخر وليس أحد ممنوعا من الاتساع فى المعانى التى لا تتناقض وذلك أنه قال فى أحد المعنيين

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفانى ولم أطلب قليلٌ من المالِ

وهذا موافق لقوله « وحسبك من غنى شبع ورى » ولكن فى المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشىء وهو قوله لكنى لست أسعى لما يكفينى ولكن لمجد أؤثله فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الانسان باليسير متوافقان فى الشعرين والزيادة فى الشعر الاول التى دل بها على بعد همته ليست تنقض واحداً منهما ولا تنسخه وأرى أن هذا العائب ظن أن أمرء القيس قال فى أحد الشعرين أن القليل يكفيه وفى الآخر أنه لا يكفيه وقد ظهر بما قلنا أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ولا ذهب اليه ومع ذلك فلو قاله وذهب اليه لم يكن عندى مخطئا من أجل أنه لم يكن فى شرط شرطه يحتاج الى أن لا ينقض بعضه بعضا ولا فى معنى سلكه فى كلمة واحدة أيضا لم يجر مجرى العيب لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقا بل إنما يراد منه اذا أخذ فى معنى من المعانى كائنا ما كان أن يجيده فى وقته الحاضر لا أن ينسخ ما قاله فى وقت آخر ومع ما قدمته فانى لما كنت آخذا فى معنى لم يسبق اليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها احتجت ان اضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها وقد فعلت ذلك والاسماء لا منازعة فيها اذ كانت علامات فان قنع بما وضعته من هذه الاسماء والا فليخترع كل من أبى ما وضعته منها ما أحب فانه ليس ينازع فى ذلك. واذ قدمت ما احتجت الى تقديمه فأقول إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظا موزونا مقفى يدل على معنى وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التى تحوزه عن غيره كانت معانى هذا الجنس والفصول موجودة فيه كما يوجد فى كل محدود

معانى حده لأن الانسان مثلا يحد بأنه حى ناطق ميت فحى بمعنى الحياة التى هى جنس الأنسان الموجود فيه وهو التحرك والحس وكذلك معنى النطق الذى هو فصله مما ليس بناطق موجود فيه وهو التخيل والذكر والفكر ومعنى الموت الذى فى حد الانسان وهو قبول بطلان الحركة وكذلك أيضاً معنى اللفظ الذى هو جنس للشعر موجود فيه وهو حروف خارجة بالصوت متواطأ عليها وكذلك معنى الوزن ومعنى التقفية ومعنى مايدل عليه اللفظ فأن كان ذلك كما قلنا فالشعر إنما هو ماإجتمع من هذه الأسباب التى يحيط بها حده. ولما كان كل مجتمع وكل مؤلف من أمور فالأمور تؤلف من بعضها مع بعض ويزيد عددها فيه وينقص على حسب كثرة الأمور وقلتها وجب أن يكون الشعر أيضا لما كان مجتمعاً من أسباب أن تكون أقسام تأليف هذه الأسباب بعضها إلى بعض جاريا هذا المجرى وأن يكون تعديد هذه التأليفات إذا استوعب وأضيف إلى ذلك عدة الأسباب المفردات من غير تأليف. فقد أتى على جميع الأسباب التى يجب الكلام فيها من أمر الشعر فأقول أنه لما كانت الأسباب المفردات التى يحيط بها حد الشعر على ماقدمنا القول فيه أربعة وهى اللفظ والمعنى والوزن والتقفية وجب بحسب هذا العدد أن يكون لها ستة أضرب من التأليف إلا أنى وجدت اللفظ والمعنى والوزن تأتلف فيحدث من ائتلافها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الأخر ائتلافا إلا أنى نظرت فيها فوجدتها من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى. الذى تدل عليه ائتلافا مع سائر البيت فاما مع غيره فلا لأن القافية إنما هى لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ولها دلالة على معنى لذلك اللفظ أيضا والوزن شىء واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى فاذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الامور الأخر ائتلاف القافية أيضا إذ كانت لاتعدو أنها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع المعنى. فأما من جهة ماهى قافية فليس ذلك ذاتا يجب بها أن يكون لها به ائتلاف مع شىء آخر إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها أنها قافية من أجل أنها

مقطع البيت وآخره وليس أنها مقطع ذاتى لها وإنما هى شىء عرض لها بسبب أنه
لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها وليس الترتيب أن لا يوجد للشىء تال يتلوه
ذاتا قائمة فيه فهذا هو السبب فى أنه لم يكن للقافية من جهة ماهى قافية تأليف
مع غيرها . فأما من جهة ماتدل عليه فإن ذلك تأليف معنى الى مايتألف إلا أنى
نسبته فى هذا الكتاب إلى القافية على سبيل التسمية وإن أراد مريد إلى أن
ينسب ذلك الى أنه تأليف معنى القافية الى مايتألف معه لم أضايقه فصار ماأحدث
من أقسام ائتلاف بعض هذه الاسباب إلى بعض أربعة وهى ائتلاف اللفظ مع
المعنى وائتلاف اللفظ مع الوزن وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف المعنى
مع القافية وصارت أجناس الشعر ثمانية وهى الاربعة المفردات البسائط التى
يدل عليها حده والأربعة المؤلفات منها * ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية
صفات يمدح بها وأحوال يعاب من أجلها وجب أن يكون جيد ذلك ورديئة
لاحقين للشعر إذ كان ليس يخرج شىء منه عنها فلنبدأ بذكر أوصاف الجودة
فى كل واحد منها ليكون مجموع ذلك إذا اجتمع للشعر كان فى نهاية الجودة وإذا
لم يكن فيه شىء منها كان فى نهاية الرداءة لا محالة إذ كان هذان الطرفان مشتملين
على جميع النعوت أو العيوب التى نذكرها ولما لم يكن كل شعر جامعا جميع النعوت
أو العيوب وجب أن تكون الوسائط التى بين المدح والذم تشتمل على صفات
محمودة وصفات مذمومة فما كان فيه من النعوت أكثر كان إلى الجودة أميل وما
كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرداءة أقرب وما تكافأت فيه النعوت
والعيوب كان وسطا بين المدح والذم وتنزيل ذلك إذا حضر ما فى الطرفين من
النعوت والعيوب لا يبعد على من أعمل الفكر وأحسن سير الشعر

الفصل الثانى

فلنبدأ من ذكر الاجناس الثمانية بأولها من الأربعة المفردات وهو اللفظ ونذكر نعوت ذلك ونعوت سائر الأجناس ونجعل هذا الفصل مقصوراً على ذكر النعوت

(نعت اللفظ)

أن يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة مثل أشعار يؤخذ فيها ذلك وإن خلت من سائر النعوت للشعر منها أبيات من تشبيب قصيدة للحادرة الذبيانى وهى

وتَصدَّقَتْ حتّي اسْتبتكَ بواضحٍ صلتٍ كمنتصبِ الغزالِ الأتلعِ ١

وبمقلتَيْ حوراءَ تحسبُ طرفها وسْنانَ حرّةِ مُستهلِّ المدمعِ ٢

وإذا تُنازعكَ الحديثَ رأيتَها حسناً تبسُّمُها لذيذُ المكرعِ ٣

كغريضِ ساريةٍ تنفحهُ الصّبا بنزيلِ أسحرَ طيّبِ المستنقعِ ٤

لعبَ السيولُ بهِ فأصبحَ ماؤهُ عَلَلاً يُقطّعُ فى أصولِ الخروعِ ٥

فَسُمَيَّ ويحكِ هل علمتِ بفتيةٍ غاديتِ لذّتهمْ بأدكنَ مترعِ ٦

بكروا عليّ بسحرةٍ فصبحتهمْ من عاتقٍ كدمِ الذبيحِ مشعشعِ ٧

---

(١) الواضح: الأبيض اللون وهو صفة لموصوف محذوف الصلت: الجبين الواضح. الأتلع: الطويل العنق (٢) الحور: اشتداد بياض بياض العين وسواد سوادها الطرف: العين (٣) المكرع: مكان الكرع وهو الفم. (٤) السارية: السحابه تسرى ليلا. اسحر: اسم مكان (٥) الخروع كدرهم نبت لا يرعى. (٦) سمى: اسم المحبوبه (٧) العاتق: الخمر القديم مشعشع: ممزوج

(ومن هذا الجنس قول محمد بن عبد الله السلامانى)

أَلا ربما هاجت لكَ الشوقَ عَرصةٌ ... بِمَرْوَانَ تمريها الرياحُ الزعازعُ ١

بها رسمُ أطلالٍ وجُثْمٌ خواشعٌ ... عليهن تبكى الهاتفاتُ السواجعُ ٢

وبِيضٍ تهادى فى الرياط كأنها ... مَها ربوةٍ طابتْ لهن المراتعُ ٣

تحرَّينَ منا موعداً بعد رِقبةٍ ... بأعقرَ تعلوه الشروحُ الدوافعُ ٤

يجئن هدوءاً والثياب كأنها ... من الطلّ بلّتها الرِّهامُ النواشعُ ٥

طروقاً وألجأنا الهوى نحوَ ربوةٍ ... بها غفلتْ عنّا العيونُ الخوادعُ

فلما قضينا غصةً من عتابنا ... وقد فاضَ من بعدِ العتابِ المدامعُ ٦

جرى بيننا منا رسيسٌ يزيدُنا ... سِقاماً إذا ما استيقنتهُ المسامعُ ٧

قليلاً وكان الليلُ فى ذاك ساعةً ... وقمن وممروفٌ من الصبح صادعُ ٨

وولين من وجدٍ بمثل الذى بنا ... وسالتْ على آثارهن المدارعُ ٩

---

(١) العرصة كل بقعته بين الدور ليس بها نبات كثير. تمريها: تدرها. الزعازع ـ الرياح الشديدة الحركة (٢) الرسم: الأثر. الجثم: ماتلبد فى الأرض. الهاتفات: يقال هتفت الحمامة تهتف صاتت. السواجع: الساجعة: الحمامه رددت صوتها ج سواجع وسجع (٣) وبيض: ورب بيض. الرياط: جمع مفرده ريط وهو الملاءة إذا كانت قطعه واحدة ولم تكن لفقتين. المها: البقرة الوحشية. الربوة: مارتفع من الأرض (٤) الرقبة: الانتظار. أعقر: اسم مكان من الرمل لانبات به (٥) الرهام: المطر الضعيف الدائم (٦) غصة: بعد أن فرغنا من العتاب الذى كان كالغصة فى الحلق (٧) الرسيس: ابتداء الحب. السقم: المرض. استيقنته المسامع: علمته وتحققته (٨) صادع: مشرق (٩) المدارع: نوع من الثياب التى تلبس

يُزَجّين بكراً أيهر الرَّيْط متنها — كما مار ثعبان الغضا المتدافعُ [١]
وقُمنَ إلى خُوصٍ كأنّ عيونَها — قلاتٌ تراخي ماؤها فهو ناصع [٢]

(ومنه بيتان للشماخ يذكر نهيق الحمار)

إذا رجع التعشير رداً كأنّه — بناجذهِ من خلفِ قارحهِ شجِ [٣]
بعيد مَدَى التطريب أولى نهاقهِ — سَحيلٌ وأُخراه خفىُّ الحشرجِ [٤]

(ومنها أبيات لجبها الأشجعى)

أمن الجميع بذي اليفاعِ رُبوع — راعت فؤادك والربوع تروع [٥]
من بعد ما بليت وغيَّر آيها — قطرٌ ومسبلة الذيول خديع [٦]
جوالةٌ بربى الملا غزلية — برغامهن مربةٌ زعزوع [٧]
ياصاحبيَّ ألا ارفعانى إنّه — يشفى الصداع فيذهل المرفوعُ [٨]
ألواحُ ناجيةٍ كأنّ قليلها — جذعٌ أطيفُ به الرقاة منيعُ [٩]
تنجُوا إذا نجدت وعارضَ أونها — أشلاء لحن من النياط خضوع [١٠]

---

(١) الريط الثوب الرقيق اللين . متنها : مكتنفا صلبها . مار : يقال مار يمور مورا تردد فى عرض (٢) خوص : الخوص جمع أخوص والأخوص من غارت عينه فى رأسه . القلت : النقرة فى الجبل . ناصع : خالص من كل شيء . (٣) رجع : ردد . التعشير : نهيق الحمار عشرا . الناجذ : واحد النواجذ وهى أقصى الأضراس وهى أربعة أو هى الأنياب وشج : شجى بالعظم إذا اعترض فى حلقه (٤) المدى : الغايه . التطريب : ترجيع الصوت وتزيينه . أولى نهاقه أوله السحيل : النهاق (٥) اليفاع : التل (٦) غير أيها : غير رسمها (٧) جوالة : طوافة . الرغام : التراب اللين (٨) الناجية : الناقه . (٩) الرقاة : جمع مفرده راق . (١٠) النياط : المفازة البعيدة الطرق

في كلِّ مطَّرِدِ الرِّفاقِ كأنَّهُ ... نِسرٌ يُرنِّقُ قدْ دهاهُ وقوع

عزَبَنْ دائرةَ الظهيرةِ بعدَ ما ... وغرنَ والحدَقُ السكنينَ خشوع

بأمقَ أغبرَ يلتقي حنانهُ ... للرِّيحِ بينَ فروعهِ ترجيع

يعتسُ منزلهنَّ أطلسُ جائعٌ ... طيَّانُ يتلفُ ماله ويضيع [1]

(ومثله أيضا)

ولما قضينا من مِنى كلَّ حاجةٍ ... ومسَّحَ بالأركانِ من هو ماسح

وشُدَّتْ على دُهمِ المهارى رحالها ... ولم ينظرِ الغادي الذي هو رائح [2]

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسالتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطح [3]

(نعت الوزن)

أن يكون سهل العروض من اشعار يوجد فيها وإن خلت من أكثر نعوت الشعر

(منها قصيدة حسان)

ماهاجَ حسانَ رسومُ المقامْ ... ومظعنُ الحيِّ ومبنى الخيامْ [4]

---

(١) اعتس طاف . الأطلس : الذئب الامعط فى لونه غبرة الى السواد والمراد به الرجل القبيح . طيان : طاوى الايام بدون أكل (٢) دهم المهارى: سودها (٣) الاباطح: ج مفرده أبطح وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى (٤) رسوم : ج مفرده رسم وهو ماكان لاصقا بالارض من آثار الديار . مظعن : مصدر ظعن أى سار ورحل . والحى : بطن من بطون القبيلة . والمراد به هنا القوم ومبنى الخيام : بناؤها أو هو مكان بنائها وإقامتها .

والنُّؤْى قَدْ هدَّمَ أعضادَه ... تقادُمُ العهد بوادٍ تَهامْ (١)

قَدْ أدْرَكَ الواشونَ ما أمَّلوا ... والحبلُ من شعثاءَ رَثُّ الزِّمامْ (٢)

كَأنَّ فاهَا ثَغَبٌ باردٌ ... فى رَصَفٍ تحتَ ظلالِ الغمامْ (٣)

(ومنها قصيدة طرفة)

من عائدِى الليلةَ أمْ من نَصيحْ ... بِتُّ بنصبٍ ففؤادى قريحْ (٤)

بانتْ فأمسى قلبُهُ هائماً ... قَدْ شفَّه وَجدٌ بها ما يريحْ (٥)

فى سلفٍ أرْعَنَ مُنفجرٍ ... يَقدمُ أولى ظعنٍ كالطُّلوحْ (٦)

عالينَ رَقْماً فاخراً لونُهُ ... مِنْ عبقرىٍّ كنجيعِ الذَّبيحْ (٧)

(ومنه أبيات المنخل بن عبيد اليشكرى)

ولقدْ دخلتُ على الفتـــــاةِ الخدْرَ فى اليوْمِ المطيرْ (٨)

الكاعبِ الحسناءِ ترْفــــلُ فى الدِّمَقسِ وفى الحريرْ (٩)

---

(١) النؤى حفر تحفر حول الخباء لئلا يدخل ماء المطر . أعضاده : نواحيه . بواد تهام : تهامى نسبة الى تهامه وتهامه مكة وبلاد جنوب الحجاز واذا أردت النسبة اليها قلت تهامى . (٢) رث الزمام: خلق بال. (٣) الثغب : الغدير فى ظل جبل لاتصيبه الشمس فيبرد ماؤه . الرصف : الحجارة المتراصفة المتدانيه . (٤) عائدى : مأخوذ من العيادة . قريح : فعيل بمعنى مفعول أو قريح بمعنى مقروح أى مجروح (٥) ما يريح : ما يتباعد . (٦) منفجر : متدفق فى سيرة . يقدم : يتقدم طلوح : ج مفرده طلح وهو شجر شبه الظعن به . (٧) عالين : رفعن . والرقم : ضربا من الوشى فيها حمره . فاخرا جيدا . عبقر : بلدة ثيابها فى غاية الجمال والحسن . النجيع : الدم الطرى . الذبيح : المذبوح . (٨) المطير : اليوم الذى يمطر ساعه ويكف أخرى . وخص اليوم المطير لأنه يوم لزوم المنزل واللهو فية أطيب لخلو البال (٩) الكاعب : أو ذات الثدى المكعب . ترفل : تجرذيلها تيها . الدمقس : الابريسم . يعنى أنها ترفل فى أجناس الحرير الأبيض وغير الأبيض

فَدفعتُها فَتَدافعتْ مشْىَ القَطاةِ إلى الغديرِ [1]

وعطفتُها فتعطفتْ كتعطفِ الغُصنِ النضيرِ [2]

ولثمتُها فتنفستْ كتنفسِ الظبى الغريرِ [3]

ولقدْ شربتِ منَ المدا مةِ بالكبيرِ وبالصغيرِ [4]

فاذا سكرتُ فإننى ربُّ الخورنقِ والسديرِ [5]

وإذا صحوتُ فإننى رب الشُويهةِ والبعيرِ [6]

(ومثله ابيات كعب بن الأشرف اليهودى)

رُب خال لى لوْ أبصرته سبط المَشْيةِ أبَّاء أنف [7]

لينُ الجانب فى أقربه وعلى الأعداء سُم كالزُّعف [8]

ولنا بئرٌ رَواء جمة تُخرج الثمل كأمثال الأكف [9]

وصريرٍ من مُجالٍ خلته آخر الليلِ أهازيج تدف [10]

— (ومن نعوت الوزن الترصيع) وهو ان يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء فى البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد فى التصريف كما يوجد ذلك فى اشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفى أشعار المحدثين المحسنين

(١) الغدير قطعة من الماء يغادرها السيل . (٢) عطفتها : أملتها . فتعطعف أمالت على . الغصن النضير : الشديد الخضرة (٣) لثمتها : قبلتها الغرير ولد الظبي الصغير تنفست الصعداء لموضعى من قلبها (٤) أى أنه كثير الشراب (٥) الخورنق : قصر للنعمان الأكبر معرب خورنكاه أى موضع الأكل . السدير : نهر بناحية الحيره . (٦) الشويهة : تصغير شاه (٧) سبط المشية : حسنها . (٨) الزعف : القاتل (٩) رواء كثير مرو . الثمل : المسكر . (١٠) وصرير : ورب صرير . الهزج : صوت مطرب فيه ترنم

منهم فمما جاء في أشعار القدماء قول امرىء القيس الكندي

مِخَشٌّ مِجَشٌّ مُقبلٌ مُدبِر معاً كتيسِ ظباءِ الحُلَّبِ العدوانِ [١]

فاتى باللفظتين الأوليين مسجوعتين فى تصريف واحد وبالتاليتين لهما شبيهتين بهما فى التصريف وربما كان السجع ليس فى لفظة ولكن فى لفظتين بالحرف نفسه كقوله

أَلصُّ الضُّرُوسِ حَنِيُّ الضلوعِ تَبوعٌ طَلوبٌ نَشيطٌ أَشِرْ [٢]

(وقصيدة اخرى سجع فى لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله)

وأَوتادُه مَاذِيَّةٌ وَعِمادُه رُدَيْنيةٌ فيها أَسنَّةٌ تُعضَبُ [٣]

(وقال زهير بن ابى سلمى)

كَبداءُ مُقبِلةٌ وركاءُ مُدبِرَةٌ قوداءُ فيها اذا استعرضتها خضع [٤]

فاتى بفعلاء مفعلة تجنيسا للحروف بالأوزان (وقال اوس بن حجر)

جَشّاً حَناجِرُها عُلماً مَشافِرُها تَثُن أولادها فى دحضِ إيضاحِ [٥]

(وقال طرفه)

بطيءٌ إلى الداعى سَريعٌ إلى الخنا ذَلولٌ بإجماعِ الرِّجالِ مُلَهَّدُ [٦]

---

(١) المخش: الجرىء الماضى مجش: غليظ الصوت . التيس: فحل الظباء . الحلب نبتة تأكلها الوحوش تضمر عليها بطونها . العدوان: الجرىء (٢) الص الضروس: ملتصق الأسنان بعضها ببعض . حنى الضلوع: تبوع للصيد قوى عليه . ويروى حبي الضلوع: مشرف الضلوع ظاهرها (٣) الماذية: قيل بيضاء وقيل الماذى خالص الحديد وجيده أسنة: رماح . تعضب: تقطع (٤) الكبداء: المرأة الضخمه الوسط البطيئه السير . القوداء: الثنية العالية (٥) جشا حناجرها: غليظة شديدة: علما مشافرها: مشقوقة المشافر من أسفل: (٦) بطىء: فعيل من البطء . الداعى: المستغيث ويروى عن الجلى كربى وهو الأمر العظيم الخنا: الفحش . ذلول: مفعول من الذل . ملهد: مدفع

(وقال عمرو بن احمر الباهلى)

فمثلك ألوى بالفؤاد وزار بالعداد وأضحى فى الحياة وأسكرا [١]

(وقال النمر بن تولب)

من صوب سارية علت بغادية تنهل حتى يكاد الصبح ينجاب [٢]

(وقال)

طويل الذراع قصير الكراع يواشك فى السبسب الأغبر [٣]

(وقال اللعين المنقرى)

مكيث إذا استرخى كميش إذا انتحى على القرب الأقصى وشدله الازرا [٤]

(وقال الأسود بن يعفر)

هم الاسرة الدنيا وهم عدد الحصا وإخواننا من أمنا وأبينا

(وقال ابو زبيد الطائى)

غير فاحش شتما ولا نخاف طعما اذا كان بالسديف السبيك [٥]

(وقال الافوه الازدى)

سود غدائرها بلج محاجرها كأن أطرافها لما اجتلى الطنف [٦]

---

(١) فمثلك ألوى بالفؤاد: اى مثلك يذهب به . وزار بالعداد: زيارتك معدوده
(٢) الصوب: أنصاب المطر. السارية: السحابة تسقط ليلا . علت امتزجت . الغاديه الآتيه بالغداة . تنهل: تسقط . ينجاب ينكشف (٣) الكراع الأطراف السفلى من الأنسان . يواشك: يقارب . السبسب: المفازه أو الأرض المستويه البعيده (٤) المكيث . الرزين . الكميش: السريع (٥) السديف: شحم السنام . السبيك: مفرد جمعه سبائك وهو ماسبك من الدقيق ونخل فأخذ خالصه
(٦) الغدائر: الشعر الطويل بلج محاجرها: نقيه مشرقه والمحاجر مابدا من البرقع أو ما يظهر من نقابها

(وقال العجير بن عبد الله السلولى)

حم الذُرَى مرْسلة منه العرى   وزجلاتُ الرَّعد فى غير صعق [١]

(وقال سليك بن سلكة)

إذا سهلت جنَّتْ وإن أحزنت مشت،   وتغنى بها بين البطون وتصديف [٢]

(وقال الشماخ)

رَعين النَّدَى حتى إذا وقدَ الحصى   ولم يبقَ من نوءِ السماكِ بُروق [٣]

(وقال عبيد الراعى)

ضعافُ القوى ليسوا كمن يبتغى العُلى   جعاسيسُ قصَّارون دون المكارم [٤]

(وقال أيضا)

سودٌ معاصمها جعدٌ معاقصها   قد مسَّها من عَقيد القار تفصيل [٥]

(وقال بشامة بن عمرو بن الغدير)

هوانُ الحياةِ وخزى المماتِ   وكلاً أراه طعاما وبيلا [٦]

(وقالت ليلى الاخيلية) سيدة

وقد كان مرهوبَ السنان وبيِّن اللسانِ ومجذامَ السُّرى غير فاتر [٧]

---

(١) زجلات الرعد : أصوات الرعد . الصعق : محركة شدة الصوت .
(٢) اسهلت : مشت فى السهل . جنت : أسرعت . أحزنت : سارت فى الجبال .
البطون : الشقوق وبين الجبال . (٣) رعين : من الرعى . والندى : المطر
. والمراد به ما انبته ووقد الحصى : اشتداد حرارته . النوء : فى الاصل النجم
. والمراد به انقطاع المطر لان العرب يضيفون المطر إلى النجوم السماك : نجم
وهو أحد السماكيه . بروق : جمع برق وهو الذى يلمع فى الغيم (٤) الجعسوس
: القصير الدميم . (٥) المعصم : موضع السوار من اليد أو اليد ، جعد معاقصتها
: أى قصيرة . (٦) هوان الحياة : ذلها (٧) مرهوب السنان : ماضى السيف
: بين اللسان : فصيحه . ومجذام السرى : قاطع السرى

(وقال ناهض بن توبة الكلابى)

صخوب الصدى ظمأى القطامرة السرى ... كما ماؤها بين الذمام الخرائش [١]

وأكثر الشعراء المصيبين من القدماء والمحدثين قدغزوا هذا المغزى ورمو هذا المرمى وإنما يحسن إذا اتفق له فى البيت موضع بليق به فأنه ليس فى كل موضع يحسن ولا على كل حال يصلح ولاهو أيضا اذا تواتر واتصل فى الأبيات كلها بمحمود فأن ذلك إذا كان دل على تعمد وابان عن تكلف على ان من الشعراء القدماء والمحدثين من قدنظم شعره كله ووالى بين أبيات كثيرة منه منهم أبو صخر الهذلى فأنه اتى من ذلك بما يكاد لجودته أن يقال فيه إنه غير متكلف وهو قوله

وتلكَ هيكلة خَودٌ مُبتَّلة ... صفراءُ رعبلةَ فى منصبٍ سنم [٢]

عذبٌ مقبّلها جذل مُخلخلها ... كالدعص أسفلها مخضودةَ القدم [٣]

سودٌ ذوائبها بيضٌ ترائبها ... محضٌ ضرائبها صيغت على الكرم [٤]

عبلٌ مقيدها حال مُقلدها ... بضٌّ مجرّدها لفّاء فى عمم [٥]

سمح خلائقها درمٌ مرافقها ... يُروى مُعانقها من باردِ الشَّبِم [٦]

كأنَّ مُعتقةً فى الدّن مغلقةً ... صهباء مصفقة من راب ردم

---

(١) صخوب الصدى . شديده (٢) الخود الحسنة الخلق الشابة . المبتلة قال ابن الأعرب المبتلة من النساء الحسنة الخلق فلا تكون حسنة العين سمحة الأنف ولا بالعكس بل تكون تاوة . رعبلة ذات خلقان (٣) عذب مقبلها أى محل تقبيلها وهو الضم . مخلخلها : موضع من الساق يوضع فيه الخلخال . الدعص الرمل . مخضودة القدم مزينته . (٤) الذوائب : الشعر فى أعلى الجبهة الترائب : الصدور . أو ماتحت العنق . محض ضرائبها : خالصة الأخلاق (٥) عبل مقيدها : ضخم والمقيد : موضع الخلخال من المرأة . البض : الجسد الرقيق الجلد الممتلىء . مجردها عند تجردها (٦) درم مرافقها : مستوية مرافقها . بارد الشبم : البارد يقال ماء شبم أى بارد

شيبت بمَزهبةٍ من رأسِ مَرقبةٍ جرداء سلهبة فى حالق شمم
خالطَ طعمَ ثناياها وريقتها إذا يكونُ توالى النجم كالنظمِ [١]

(ومنهم أبو المثلم أنه قال)

لوْ كان للدهر مالٌ كانَ متلده لكان للدهر صخر مال قنيان [٢]
آبى الهَضيمة ناءٍ بالعظيمة متلافُ الكريمة جلدٍ غير ثنيان [٣]
حامى الحقيقةِ بسّال الوَديعة معتاق الوَسيقةِ لانكسٌ ولا وانى
رباء مرقبةٍ منّاع مغلبة وهاب سلهبةٍ قطّاعُ أقران [٤]
هباط اودية حمّال ألوية شهادُ أندية سرحانُ فتيانِ [٥]
يُعطك ما لاتكادُ النفس ترُسله منَ التلادِ وهوبُ غير منّان [٦]

ومثل ذلك للمحدثين أيضا كثير وإنما يذهبون فى هذا الباب إلى المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضا فأنه لا كلام أحسن من كلام رسول الله عليه وآله وسلم وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك فمنه ماروى عنه عليه السلام من أنه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال أعيذهما من السامه والهامه وكل عين لامه وإنما اراد ملمه فلا تباع الكلمة اخواتها فى الوزن قال لامه وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وآله أنه قال خير المال سكة مأبوره ومهرة مأموره

---

(١) الثنايا: الريق. إذا يكون توالى الخ أى فى هذه الوقت. (٢) المتلد المال القديم. (٣) أبى الهضيمة الخ يأباها: ناه بالعظيمة حامل لها. الكريمة النفيس. جلد غير ثنيان: قوى متين (٤) الرباء: الرقيب الذى يتقدم القوم لئلا يدهمهم العدو. المرقبة: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب السلهبة: الخيل. قطاع اقران: غالب لاقرانه وأندادده (٥) هباط: صيغة. مبالغه أوديه أى كثير الهبوط فيها. الويه: جمع لواء وهى الرايه التى تكون فى مقدمة الجيش والمعنى أنك تجده فى كل مكان يدل على الشجاعة والكرم وعلوا لهم (٦) التلاد: المال القديم

فقال مأموره من اجل مأبوره والقياس مؤمره . وجاء فى الحديث يرجعن مأزورات غير مأجورات وإذا كان هذا مقصودا له فى الكلام المنثور فاستعماله فى الشعر الموزون اقمن وأحسن

(نعت القوافى)

أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج وان تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول فى البيت الاول من القصيدة مثل قافيتها فأن الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه وربما صرعوا أبياتا أخر من القصيدة بعد البيت الأول وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر فمنه قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل (١)

(ثم اتى بعد هذا البيت بابيات فقال)

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى (٢)

(ثم اتى بابيات بعد هذا البيت فقال)

ألا ايها الليل الطويل ألا انجلى ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل (٣)

(١) قفا : المراد به هنا قف وكثيرا ما يذكرون المثنى ويريدون المفرد كقول الشاعر:

فأن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر ... وإن تدعانى عرضا ممنعا

خاطب الواحد خطاب الاثنين . اللوى : ما التوى من الرمل والجمع الواء وألوية . وسقط اللوى : منتهاه وهو مثلث السين . والدخول وحومل : مكانان يقع بينهما سقط اللوى وفيه منزل الحبيب (٢) أزمع الامر وأزمع عليه إذا ثبت عزمه على إمضائه . الصرم : بفتح الصاد وضمها الهجر والقطيعه . الاجمال : الرفق . (٣) أمثل : أفضل يذكر أن همومه وأحزانه موصولة فليس الصبح خيرا له من الليل

(وقال فى قصيدة اخرى اولها)

ألاَ انعِمْ صباحاً أيها الطللُ البالي ... وهل يَنْعَمَنْ من كان فى العُصُرِ الخالي (١)

(وقال بعد بيتين)

دِيارٌ لسلمَى عافياتٌ بذي الخالِ ... ألح عليها كلُّ أسحَمَ هطّالِ (٢)

(ثم قال بعد ابيات اخر)

ألاَ إنَّني بَالٍ على جَملٍ بالِي ... يقودُ بنا بالٍ ويَتبعُنا بالِي (٣)

(وقال فى قصيدة اخرى اولها)

غَشيتُ ديارَ الحىِّ بالبَكراتِ ... فعارمةٍ فبُرقةِ العيَراتِ (٤)

(ثم قال بعد بيتين)

أعنِّى عَلَى التَّهمامِ والذِّكراتِ ... يَبِتْنَ على ذي الهَمِّ مُعتكِراتِ (٥)

---

(١) الانعم صباحا : كلمة كان يتكلم بها فى الجاهلية فى الغداء وكانوا يقولون فى المساء ألا انعم مساء وبالليل عم ظلاما ثم جاء الاسلام فأبطل هذا مما أبطله من الالفاظ الجاهلية وأبدل بدلها كلمة (السلام عليكم)

(٢) عافيات : دارسات : وذوخال : موضع ويرويه غير الأصمعي بذي الخال. الح : دام . الاسحم : الاسود والمراد به السحاب الكثير الماء . الهطال : المطر الدائم فى لين والمعنى ان هذه الدار تغيرت ودرست بدوام المطر عليها (٣) إلا انني . بال ألخ . يريد أنه مضنى . بلاه الحب . (٤) غشيت : جئت البكرات : أعلام بطريق مكة . عارمه : مكان . برقة : البقعة التى يخالط حجارتها السود رمل . العيرات : الحمر الوحشية . (٥) التهام : تفعال من الهم . والذكرات : جمع ذكرة من التذكير . معتكرات : منصرفات

(وقال فى قصيدة اخرى او لها)

عيناكَ دمعُهما سِجالُ ... كأنَّ شأنيهما أوشالُ [١]

(وقال بعد أبيات)

قلوب خِزّانَ ذِى أورالِ ... قوتا كما تُرزقُ العيالُ [٢]

وقد سلك هذا السبيل غير امرىء القيس شعراء كثيرون فمنهم أوس قال فى قصيدة أولها

ودّع لميسَ وداعَ الصّارم اللاحى ... قد نتمت فى فسادٍ بعدَ إصلاحِ [٣]

(ثم قال)

إنى أرقتُ ولم تأرقْ معى صاحِ ... لمستكينٍ بعيدِ النوم لوّاحِ [٤]

(ومنهم مرقش قال فى قصيدة او لها)

أمِنْ رَسْمِ دار ماء عينك يَسفحُ ... غدًا مِنْ مَقامِ اهله وتروحُوا [٥]

(ثم قال)

أمِنْ بنت عجلانَ الخيالُ المطرح ... ألمَّ ورحلى ساقطٌ متزحزِحُ

(وقال حسان بن ثابت قصيدة او لها)

ألم تسألِ الرَّبعَ الجديدَ التكلُّما ... بمدفعِ أشداخٍ فبرقةِ أظلما [٦]

---

(١) سجال جمع سجل وهو الدلو العظيم مملوء ماء . شأنيهما . جانبهما أو مجارى الدموع منهما . أو شال جمع وشل وهو الماء يتحلب من أعالى الجبال بكثرة (٢) الخزان : زكور الارانب جمع خزز . أورال: صاحب ورل والورل دابه كالضب (٣) لميس المرأة اللينه الملمس (٤) إنى أرقت الخ أى لم تشاركنى فى أرقى ياصاحبي (٥) رسم الدار: أثارها . يسفح: يقال سفح الدمع أرسله سفحا وسفوحا والدمع سافح منصب (٦) إشداخ : واد . والمدفع : مجرى سيوله . وبرقه اظلما : موضع

(وقال في البيت التالي لهذا)

أبى رسمُ دارِ الحيّ أن يتكلما ... أينطقُ بالمعروفِ من كان أبكما [1]

(وقال الشماخ قصيدة اولها)

ألا ناديا أظعانَ ليلي تُعرّج ... فقد هِجنَ شوقاً ليته لم يُهيَّج [2]

(ثم قال بعد أبيات)

ألا أدلجتْ ليلاك من غير مدلج ... هوى نفسها إذ أدلجت لم تُعرج [3]

(وقال عبيد بن الابرص قصيدة أولها)

أقفرَ من أهلِه ملحوبُ ... فالقُطبيّاتُ فالذَّنوبُ [4]

(ثم قال بعد أبيات)

أرضٌ توارثَها شَعوبُ ... فكلُّ من حلّها محروبُ [5]

(ثم قال بعد ابيات)

والمرءُ ماعاشَ في تكذيبِ ... طولُ الحياةِ له تعذيبُ

(وقال الراعي قصيدة اولها)

أبتْ آياتُ حبي أن تَبينا ... لنا خبراً فأبكين الحزينا [6]

---

(١) رسم دار الحي: آثاره . (٢) ناديا : خطاب لصاحبيه ويحتمل أن يكون خطاباً للواحد على حد قوله (أبقيا في جهنم) الاظعان : جمع ظعينه وأكثر ما تطلق على الناقة هودجها ثم أطلق على الهودج ثم للمرأة بلا هودج. تعرج : تحبس مطاياها وهو جواب لناديا. هجن شوقا : حركنه . (٣) أدلجت الخ : أى سارت من آخر الليل من غير شيء يحملها على الادلاج . هوى نفسها: مفعول له : لم تعرج. لم تعطف (٤) ملحوب : اسم موضع. القطبيات : القطبيه: ماء بعينه وأرادهنا بالقطبيه للماء ولكنه جمعه بما حوله . الذنوب : اسم موضع بعينه . (٥) الشعوب : المنية . وفي رواية الجدوب. المحروب : مسلوب المال . (٦) آيات : جمع مفردها آية وهى العلامة ووزنها فعله فى قول الخليل وذهب غيره إلى أن اصلها آية فعله بفتح الفاء والعين فقلبت الياء الفا لانفتاح ما قبلها وهذا قلب شاذ كما قلبوها في صحارى الا أن ذلك قليل غير مقيس عليه .

وربما أغفل بعض الشعراء التصريع فى البيت الاول فأتى به فى بعض من القصيدة فيما بعد (قال ابن احمر الباهلى قصيدة اولها)

قدْ بكرَتْ عاذِلَتى بكرةً تزعمُ أنى بالصِّبا مشتهِر

(فلم يصرع أول القصيدة وأتى ببيتين بعد الاول ثم قال)

بَلْ ودعينى طفل انّي بكِر فقدْ دنا الصُّبح فما أنتظر

(وقال أيضا من قصيدة اولها)

لعمرك َماخلّفتُ الا لما ترى ورا رجالٍ أسامونى لما بيا[1]

(فاتى بالأول غير مصرع ثم قال بعد ابيات)

فأمسى جنابُ الشّوْل أغبر كابيا وأمسى جناب الحى أبلجَ واريا[2]

(وقال اميه بن حرثان بن الاسعر الكنانى قصيدة أولها)

أصبحتُ هزءً الراعى الضان أعجبه ماذا يُريبك منى راعيَ الضّانِ[3]

(فلم يصرع أول بيت وأتى بعده ببيت واحد قال فيه)

يابنىْ أميّةَ إنّي عنكما غانِى وما الغِنى غيرَ أنّي مُرْعشٌ فَانِى

وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون الى ذلك لأن بينة الشعر انما هى التسجيع والتقفية فكلما كان الشعر أكثر اشتمالا عليه كان أدخل له فى باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر

---

(١) ماخلفت : تأخرت عن الرجال فى الطريق (٢) جناب : الجناب : الناحية الشول : الناقة التى جف لبنها وارتفع : ضرعها واريا : متقدا . كابيا : يقال كبا لونه كمد وكبا تغير ويقال أيضا رجل كابى اللون عليه غبرة والاسم من ذلك الكبوة . أبلج: مضيئا ذاهرا (٣) هزءا : سخرية وأضحوكه : يقول إنى بلغت من الكبر والهرم حتى أصبحت سخرية لكل شخص حتى لراعى الضأن

(باب المعانى الدال عليها الشعر)

جماع الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجها الغرض المقصود غير عادل عن الامر المطلوب[1] ولما كانت أقسام المعانى التى يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لانهاية لعدده ولم يمكن أن يؤتى على تعديد جميع ذلك ولا أن يبلغ آخره رأيت أن أذكر منه صدرا ينبىء عن نفسه ويكون مثالا لغيره وعبرة لما لم أذكره وأن أجعل ذلك فى الإعلام عن أغراض الشعراء وما هم عليه أكثر حوما وعليه أشد روما وهو المديح والهجاء والنسيب والمراثى والوصف والتشبيه وأقدم أمام كلامى فى هذه الاقسام قولا يحتاج إلى تقديمه وهو أنى رأيت الناس مختلفين فى مذهبين من مذاهب الشعر وهما الغلو فى المعنى اذا شرع فيه والاقتصار على الحد الاوسط فى ما يقال منه وأكثر الفريقين لايعرف من أصله ما يرجع اليه ويتمسك به ولا من اعتقاد خصمه مايدفعه ويكون أبدا مضادا له. لكنهم يخبطون فى ظلماء فمرة يعمد أحد الفريقين الى ما كان من جنس قول خصمه فيعتمده ومرة يقصد ما جانس قوله فى نفسه فيدفعه ويعتقد نقضه وقد شهدت أنا من هذه وله سبب قوما يقولون إن قول مهلهل بن ربيعة

فلولا الرِّيحُ أُسمِعُ من بحجرٍ	صليلَ البيضِ تُقرَعُ بالذُّكورِ[1]

خطأ من أجل أنه كان بين موضع الرقة التى ذكرها وبين حجر مسافة بعيدة جدا وكذلك يقولون فى قول النمر بن تولب

أبقَ الحوادِثُ والأيامُ من نمِرٍ	أشباهَ سيفٍ قديمٍ إثرُه بادِى
تَظَلُّ تَحفِرُ عنهُ إنْ ضرَبتَ بهِ	بعدَ الذِّراعينِ والسّاقينِ والهادِى[2]

---

(١) صليل البيض : صوت طنين السيوف عند القتال . تقرع بالذكور : السيوف ذات الحديد اليابس (٢) الهادى: العنق لتقدمه والجمع هوادو فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه بعث ضباعة وذبحت شاه فطلب منها فقالت ما بقى الا الرقبة فبعث اليها أن أرسلى بها فانها هادية الشاة والهادية والهادى العنق لانها تتقدم على البدن ولانها تهدى الجسد

(وكذلك فى قول أبى نواس)

وأَخفتَ أهلَ الشركِ حتى إنّه ... لتخافُكَ النُّطَفُ التى لم تُخلَقِ [١]

ثم رأيت هؤلاء بأعيانهم فى وقت آخر يستحسنون ما يرون من طعن النابغة على حسان بن ثابت رضى الله عنه فى قوله

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنا يَقطُرنَ من نَجدةٍ دَما [٢]

وذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان فى قوله الغر وكان ممكنا أن يقول البيض لأن الغرة بياض قليل فى لون آخر غيره وقالوا فلو قال البيض لكان أكثر من الغرة وفى قوله يلمعن بالضحى ولو قال بالدجى لكان أحسن وفى قوله وأسيافنا يقطرن من نجدة دما قالوا ولو قال يجرين لكان أحسن إذ كان الجرى أكثر من القطر فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هذا المذهب فى الطعن على شعر حسان غير المذهب الذى كانوا معتقدين له من الانكار على مهلهل والنمر وأبى نواس لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر الغلو والثانى لمن استجاده فأن النابغة على ما حكى عنه لم يرد من حسان إلا الافراط والغلو بتصيير مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزايد عليه وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان من النابغة كان أو من غيره خطأ وأن حسان مصيب إذ كانت مطابقة المعنى بالحق فى يده وكان الرادّ عليه عادلا عن الصواب الى غيره . فمن ذلك أن حسانا لم يرد بقوله الغر أن يجعل الجفان بيضا فاذا قصر عن تصيير جميعها بيضا نقص ما أراده لكنه أراد بقوله الغر المشهورات كما يقال يوم أغر ويد غراء وليس يراد البياض فى شيء من ذلك بل يراد الشهرة والنباهه . وأما قول النابغة فى يلمعن بالضحى وأنه لو قال

---

(١) أخفت أهل الشرك : أفزعتهم وارعبتهم . النطفة : ماء الرجل جمعه نطف.

(٢) الجفنات : جمع جفنة وهي القصعة تجمع أيضا على جفان وجفن عن سيبويه كهضبة وهضب والعدد جفنات بالتحريك لأن ثانى فعله يحرك في الجمع اذا كان اسما إلا أن يكون ياء أو واوا فيسكن حينئذ . الغر : البيض .

بالدجى لكان أحسن من قوله بالضحى إذ كل شيء يلمع بالضحى فهذا خلاف الحق وعكس الواجب لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء الا الساطع النور الشديد الضياء فأما الليل فأكثر الأشياء مماله أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه فمن ذلك الكواكب وهي بارزة لنا مقابلة لأبصارنا دائما تلمع بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى وكذلك السُرُج والمصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار وفي الليل تلمع عيون السباع لشدة بصيصها وكذلك اليراع حتى تُخال نارا . فأما قول النابغة أومن قال إن قوله في السيوف يجرين خير من قوله يقطرن لأن الجرى أكثر من القطر فلم يرد حسان الكثرة وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دما ولم يسمع سيفه يجرى دما ولعله لو قال يجرين دما يعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد الى ما لم تجر عادة العرب بوصفه . فلنرجع الى ما بدأنا بذكره من الغلو والاقتصار على الحد الأوسط فأقول إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما وقد بلغنى عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المتقدم ذكره فهو مخطىء لأنهم وغيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فإنما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت وهذا أحسن من المذهب الآخر فإن قول النابغة في معنى قول النمر على مذهب الاقتصار ولزوم الحد الاوسط

وقد أبقتْ صروفُ الدهرِ مني كما أبقتْ من السَيفِ اليماني [1]

دون قول النمر دليلا قويا على أن ما بقى منه أكثر مما بقى من النابغة وكذلك قول كعب بن مالك الانصارى في معنى قول مهلهل ووصفه صوتَ الضرب

(١) صروف الدهر : حدثاته ونوائبه . السيف اليماني : المنسوب الى بلدة باليمن اشتهرت بصنع السيوف

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بعضُهُ بعضاً كَمَعمعةِ الأَباءِ المحرَّقِ [١]

دون قول مهلهل لأن فى قول مهلهل مايدل على أن الضرب الذى ذكره أشد وأبلغ وكذلك قول الحزين الكنانى فى معنى قول ابى نواس

يُغضِي حياءً ويُغضَى مِنْ مهابتِهِ فَما يكلَّمُ إلاَّ حينَ يبتسِمُ [٢]

دون قول أبى نواس لأن هذا وإن كان قد وصف صاحبه بما دل على مهابته فان فى قول أبى نواس دليلا على عموم المهابة ورسوخها فى قلب الشاهد والغائب وفى قوله حتى انه لتهابك قوة لتكاد تهابك وكذا كل غال مفرط فى الغلو إذا أتى بما يخرج عن الموجود فأنما يذهب فيه الى تصييره مثلا وقد أحسن أبو نواس حيث أتى بما ينبىء عن عظم الشىء الذى وصفه . واذ قدمت ما أردت تقديمه فلنرجع إلى ذكر واحد واحد من المعانى الستة التى قلت إنها الأعلام من أغراض الشعراء فى المعانى فأبدأ أولا بذكر المديح

نعت المديح : ما احسن ما قال عمر بن الخطاب فى وصف زهير حيث قال إنه لم يكن يمدح الرجل الابما يكون للرجال فانه فى القول إذا فُهم وعُمل به منفعة عامة وهى العلم بأنه إذا كان الواجب أن لايمدح الرجال الابما يكون لهم وفيهم فكذا يجب أن لايمدح شىءٌ غيرهم الابما يكون له وفيه وبما يليق به أولا ينافره ومنفعة أخرى ثانية وهى توكيد ما قلنا فى أول كلامنا فى المعانى من ان الواجب فيها قصد الغرض المطلوب على حقه وترك العدول عنه الى مالا يشبهه . ولما كان المدح اسما مشتركا لمدح الرجال وغيرهم عمه بالقول فى مدح الرجال إذ كان غرض الشعراء انما هو مدحهم الا مايستعملون من أوصاف النساء فأن ذلك له قسم آخر سنأتى به فى مابعد إن شاء الله تعالى

(١) يرعبل : في اللسان قال الجوهري : رعبلت اللحم قطعته ومنه قول الشاعر :

ترى الملوك حوله مرعبلة يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

(٢) يغضي حياء : الضمير فى يغضي عائد إلي زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما والاغضاء : إدناء الجفون بعضها إلى بعض .

وعلمنا أن أخذنا فى التعريف بجودة مدح الرجال كيف يكون فقد يُتعلم من حواشي قولنا فى هذا كيف يسلك السبيل الى مدح غيرهم فنقول :

إنه لما كانت فضائل الناس من حيث إنهم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك إنما هى العقل والشجاعة والعدل والعفة كان القاصد لمدح الرجال بهذه الاربع الخصال مصيبا والمادح بغير مخطئا وقد يجوز فى ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والاغراق فيه دون البعض مثل أن يصف الشاعر إنسانا بالجود الذى هو احد اقسام العدل وحده فيغرق فيه ويتفنن فى معانيه أو بالنجدة فقط فيعمل فيها مثل ذلك اوبهما أو يقتصر عليهما دون غيرهما فلا يسمى مخطئا لاصابته فى مدح الانسان ببعض فضائله لكن يسمى مقصرا عن استعمال جمع المدح فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال لا بغيرها والبالغ فى التجويد الى أقصى حدوده من استوعبها ولم يقتصر على بعضها وذلك كما قال زهير بن ابى سلمى فى قصيدة

أخي ثقةٍ لا تهلكُ الخمرُ مالَه ولكنهُ قد يُهلكُ المالَ نائلهُ [1]

فوصفه فى هذا البيت بالعفة لقلة امعانه فى اللذات وانه لا ينفذ مالُه فيها وبالسخاء لأهلاكه ماله فى النوال وانحرافه الى ذلك عن اللذات وذلك هو العدل ثم قال :

تَراهُ إذا ما جئتَه متهلّلاً كأنكَ مُعطيهِ الذي أنتَ سائله [2]

فزاد فى وصف السخاء بان جعله يهش له ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله ثم قال

(١) أخي ثقة : يوثق بما عنده من الخير لاشتهاره بالجود والكرم . النائل : العطاء . والمعنى أن ماله لا يتلف بشرب الخمر إنما يتلف بالعطاء (٢) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر يقول هو يسر بمن يقصده للعطاء فكأنه بهذا السرور آخذ للعطاء لا معطيه للسائل

فَمن مِثل حِصن فى الحروب ومِثلُه   لإنكار ضيم أو لخصم يجادله [١]

فاتى فى هـذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل فاستوعب زهير فى أبياته هذا المديح بالاربع الخصال التى هى فضائل الانسان على الحقيقة وزاد فى ذلك ماهو وأن كان داخلا فى هذه الاربع فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها حيث قال أهل ثقة صفة له بالوفاء والوفاء داخل فى الفضائل التى قدمنا ذكرها . وقد تفنن الشعراء فى المديح بان يصفوا حسن خلقة الانسان ويعددوا انواع الاربع الفضائل التى قدمنـا ذكرها وأقسامها واصناف تركيب بعضها مع بعض وما أقل من يشعر بان ذلك داخل فى الاربع الخلال على الانفراد أو بالتركيب الا أهل الفهم مثل أن يذكروا من أقسام العقـل ثقابه المعرفة والحيـاء والبيان والسياسة والكفاية والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك ممـا يجرى هذا المجرى . ومن أقسام العفة القناعة وقلة الشره وطهارة الازار وغير ذلك مما يجرى مجراه . ومن أقسام الشجاعة الحماية والدفاع والاخذ بالثأر والنكاية فى العدو والمهابة وقتل الاقران والسير فى المهامه الموحشة وما أشبه ذلك . ومن اقسام العدل السماحة ويرادف السماحة التغابن وهو من أنواعها والانظلام والتبرع بالنـائل واجابة السـائل وقرى الاضياف وماجانس ذلك . فأما تركيب بعضها مع بعض فيحدث منه ستة أقسام . اما مايحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد وعن تركب العقل مع السخاء فانجاز الوعد وما اشبه ذلك وعن تركب العقل والعفة فالرغبة عن المسألة والاقتصار على أدنى معيشة وما اشبه ذلك وعن تركب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاخلاف وما أشبه ذلك وعن تركب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم وعن السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شاكل ذلك

---

(١) الضيم : الذل والظلم .

وماأشبه ذلك وعن تركب الشجاعة مع السخاء الائتلاف والاخلاف وماشبه ذلك وعن تركب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم وعن السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شاكل ذلك وجميع هذه التركيبات قد ذكرها الشعراء فى اشعارهم وساذكر من جيد ماقالوه فى ذلك صدرا إن شاء الله تعالى الا انى أبدأ قبل ذلك فاقول

ان كل واحدة من الفضائل الاربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين وقد وصف شعراء مصيبون متقدمون قوما بالافراط فى هذه الفضائل حتى زال الوصف الى الطرف المذموم وليس ذلك منهم الا كما قدمنا القول فيه فى باب الغلو فى الشعر من أن الذى يراد به انما هو المبالغة والتمثيل لاحقيقة الشيء.

ومن الاخبار التى يحتاج الى ذكرها وشرح الحال فيها ليكون ذلك مثالا يبنى الامر عليه ويعلم به ما يأتى من مثله أن كثيرا انشد عبدالملك بن مروان

عليَّ ابن أبي العَاصي دِلاصٌ حصينَةٌ ... أجادَ المرىءُ نسجها وَأذالَها [١]

يَودُّ ضعيفُ القوْمِ حملَ قتيرِها ... ويَستظلِعُ القرْمُ الأشمُّ احتمالَهَا [٢]

فقال له عبدالملك قول الاعشى لقيس بن معدى كرب احسن من قولك حيث يقول له

وإذا تَجيء كَتيبَةٌ مَلمومَةٌ ... شَهباءُ يَخشَى الزَّاهِدُونَ نِهالَها [٣]

كنتَ المقدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ ... بالسَّيفِ تَضرِبُ مُعلماً أبطالَهَا [٤]

فقال يا امير المؤمنين وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالخرق. والذى عندى فى ذلك ان عبدالملك أصح نظرا من كثير الا ان يكون كثير غالط واعتذر بما يعتقد خلافه لانه قد تقدم من قولنا فى أن المبالغة أحسن من

---

(١) الدلاص: الدرع الملساء اللينة. أجاد المرىء: صانعها الماهر

(٢) القتير: رؤس مسامير الضلوع. القرم الاشم: الرجل العظيم ذو المكانة العالية

(٣) الكتيبة: الجيش. أو جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف ويقال كتبها تكتيبا هيأها وتكتبوا تجمعوا. شهباء: عظيمة كثيرة السلاح (٤) الجنة: بالضم كل ماوقاك. معلما ابطالها: أى معلمهم من الضربات السيف التى تقع عليهم من ضربك

الاقتصار على الامر الوسط بما فيه كفاية والاعشى بالغ فى وصف الشجاعة حيث جعل الشجاع شديد الاقدام بغير جنة على انه وان كان ليس الجنة أولى بالحزم واحق بالصواب ففى وصف الاعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له ولا لغيره الالبس الجنة وقول كثير تقصير فى الوصف . فلنرجع الى ذكر مدائح الشعراء المحسنين ثم نأتى بعد ذلك بصدر يشتمل على افتنانهم فى المدح ليكون مثالا لما تقدم الاخبار عنه وعبرة فى اختيارات المديح

(فمن ذلك قول زهير بن أبى سلمى)

يَطلبُ شأوَ امرأينِ قدَّما حسناً ... نالا الملوكَ وبذَّا هذه السُّوقا [١]

هُوَ الجوادُ فأنْ يلحقْ بشأوِهما ... على تكاليفهِ فمِثلُه لحِقَا [٢]

أو يَسبِقاهُ على ما كانَ منْ مَهَلٍ ... فمِثلُ ما قدَّما من صالحٍ سبَقَا [٣]

(ومن هذه القصيدة)

من يَلقَ يوماً على عِلاَّتِه هَرِماً ... يَلقَ السَّماحةَ منهُ والنَّدَى خُلُقا [٤]

ليثٌ بعثَّرَ يصطادُ الرِّجالَ إذا ... ما كذَّبَ اللَّيثُ عن أقرانِه صدَقا [٥]

يَطعَنُهم ما ارتَموا حتَّى إذا اطَّعَنوا ... ضاربَ حتَّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فضلُ الجوادِ على الخيلِ البِطاءِ فلا ... يُعطى بذلكَ ممنونا ولا نَزِقا

---

(١) الشأو : الطلق من الجرى والشأو أيضا الغاية . وأراد بالمرأين أباه وجده أي يعارضهما بفعله ويسعى سعيهما فى المكارم . نالا الملوك : نالا بأفعالها أفعال الملوك . وبذ : غلب . والمعنى سبق أبواه أوساط الناس وساويا الملوك فهو يطلب سبقهما

(٢) هو الجواد : أي الممدوح بمنزلة الجواد من الخيل في مسابقة أبويه فى الكرم والجود (٣) المهل : التقدم . (٤) على علاته : على قلة ماله والمعنى أنك تلقه على قلة ماله تجده سمحا كريما فكيف به وهو على غير تلك الحال .

(٥) بعثر : اسم موضع . أقرانه : القرن : الصاحب في القتال . والمعني هو فى الجرأة والاقدام على الاقران كالليث

هذا وليس كمن يعيا بخطبته ... وسط الندى إذا ما ناطق نطقا ١

لو نال حي من الدنيا بمكرمة ... أفق السماء لنالت كفه الأفقا

(ومن أخرى له)

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا ... وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا ٢

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل ٣

فإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم ... مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل

على مكثريهم حق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل ٤

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم ... فلم يدركوا ولم يليموا ولم يألوا ٥

فما كان من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل ٦

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل ٧

---

(١) الندى: مجلس القوم. يصف ممدوحه بأنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب (٢) الاستخبال: أن يستعير الرجل أبلا فيشرب ألبانها وينتفع بأوبارها. ييسروا: يغلوا والمعنى إذا قامروا بالميسر أخذوا سمان الجزر فيقامرون عليها لا ينحرون الا غالية. (٣) المقامات: المجالس والمراد بها أهلها. الأندية: جمع ندى وهو المجلس. ينتابها القول الخ: يبث فيها الجميل من القول (٤) على مكثريهم: مياسيرهم وأغنيائهم. المقل: القليل المال. البذل: العطاء. والمعنى يبذل الفقراء على قدر جهدهم وطاقتهم (٥) لم يليموا: لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء (٦) توارثه آباء آبائهم: أى مجدهم قديم ورثوه كابرا عن كابر (٧) الخطى: الرمح نسبة إلي الخط وهى جزيرة بالبحرين يرفأ إليها سفن الرماح. الوشيج: القنا الملتف في منبته واحدته وشيجة والمعنى لا تنبت القناة الا القناة، ولا تغرس النخلة الا حيث تنبت، كذلك لا يولد الكرام الا في منبت كريم

(ولزهير يمدح بني الصيداء)

إنّي ستَرْحَلُ بالمطِيّ قصائدي ... حتّى تحلَّ علي بني وَرْقاءَ [١]

مِدَحًا لهمْ يتوارثون ثناءها ... رهن لآخرهمْ بطولِ بقاءِ

حلماءُ في النّادِي إذا ما جئتهم ... جهلاء يومَ عجاجةٍ ولقاء [٢]

من سالموا نالَ الكرامةَ كلها ... أو حاربوا ألوى مع العنقاء

(وله)

إنَّ البخيلَ ملومٌ حيثُ كانَ ولـــكنّ الجوادَ على عِلاّتِهِ هرمُ [٣]

هُوَ الجوادُ الّذي يعطيكَ نائلهُ ... عفواً ويظلَمُ أحياناً فيظّلِمُ

(ومن ذلك قول الحطيئة في بني بغيض)

وإنّ التي نكّبتُها عن معاشر ... على غِضاب ان صَدَدت كما صدُّوا [٤]

أتت آلَ شمّاسِ بنِ لأيٍ وإنّما ... أتاهم بها الأحلامُ والحسب العِدُّ [٥]

(ومنها)

يسوسونَ أحلاماً بعيداً أناتُها ... وإنْ غضبوا جاءَ الحفيظةُ والجدُّ

أقِلّوا عليهمْ لا أباً لأبيكُمُ ... مِنَ اللّومِ أوسدّوا المكانَ الذي سدّوا

---

(١) ورقاء: اسم رجل والجمع وراق وورارقى مثل صحار وصحارى ونسبوا إليه ورقاوي فأبدلوا من همزه التأنيث واوا (٢) يوم عجاجة: يوم غبار وهول وشدة (٣) علاته: ماينوبه من قلةذات يده. هرم: اسم الممدوح. عفوا: سهلا بلا مطل ولا تعب. يظلمه أحيانا: يطلب منه في غيرموضع الطلب وفي غير وقته.

(٤) أراد المدحة التي عدل بها عن آل الزبرقان الي بغيض وقومه. (٥) العد: القديم ونقل صاحب اللسان عن بعض المتحذلقين أنه فسر العدفي قولهم: حسب عد بمعني كثير أخذا من قولهم ماعدا أى كثير ثم قال وهذا غير قوي. وأن يكون العد القديم أشبه واستشهد على هذا المعنى بالبيت

أولئكَ قومٌ إنْ بنَوْا أحسنُوا البِنى وإنْ عاهدوا أوفَوا وإن عقدُوا شدُّوا [1]
وإنْ كانتْ النَّعماءُ فيهِم جزَوْا بها وإنْ أنْعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا [2]
وتَعذُلُني أبناءُ سعدٍ عليهِمُ وما قلتُ إلَّا بالذي عَلِمتْ سعدُ

(ومن ذلك قول الاخطل)

صم عنِ الجهلِ عنْ قيلِ الخنا خرس وإنْ ألمَّتْ بهِم مكرُوهةٌ صبرُوا [3]
شمسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهمْ وأوسعُ النَّاسِ أحلاماً إذا قدَروا [4]

(ومن ذلك ما انشدنا احمد بن يحيى)

مَيامينُ يَرْضونَ السِّياسةَ إنْ كفوا ويكفونَ إنْ ساسوا بغيرِ تكلُّفِ
إذا صُرِّفوا للحقِّ يوماً تصرَّفوا إذا الجاهلُ الخيراتِ لم يتصرَّفِ
وإنْ كانَ فيهِم موسِرٌ يُقْنِ فضلَه وإنْ كانَ فيهِم معسِرٌ لم يُطوِّفِ

(وانشدنا أيضاً)

وفِتيانِ صِدقٍ بائسينَ صَحِبتُهم يزيدهم هَولُ الجَنابِ تآسيا
فإنْ يكُ خيراً أحسنوا أسلابَها وإنْ كانَ شرّاً أيسَرُوه تحاميا [5]

(وانشدنا)

اذا المحلُ أنسى العفةَ الناسَ ذبَّبتْ وحامتْ عنِ الأحسابِ بكرُ بنُ وائلِ

---

(١) رواية اللسان مادة (عقد) وإن عاقدوا اشدوا (٢) ويروى ان كانت النعمى عليهم والمعنى إنهم إن انعموا لم عنوا ولم يكدروا نعمتهم بالمن ولم يكدوا المنعم علية بالثواب (٣) الخنا : الفحش (٤) شمس العداوة : قال صاحب اللسان : رجل شموس عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده والجمع شمس بسكون الميم وشمس بضمها (٥) السلب : ما يسلب والجمع أسلاب

بهمْ بَعض بالناس لكنْ يردهم   حياءُ عفافٍ عن دَنيء المآكلِ

(وانشدنا)

يُذكّرني بِشراً بكاءُ حمامةٍ   على فَنَنٍ من بَطن بيشه مائلِ [١]
فتىً مثل صفو الماء ليسَ بباخلٍ   بخيرٍ ولا مُهدٍ ملاماً لباخلِ
ولا ناطقاً أحدوثة السَّبْقِ مُعجباً   بأظهارها في المجلس المتقابلِ [٢]
ترَى أهلَهُ في نِعمةٍ وهو شاحبٌ   طَوِي البطْنِ مِخماص الضُّحى والأصائلِ [٣]

(وانشدنا لمحمد بن زياد الحارثي)

تخالُهمْ للحلمِ صماً عنِ الخنا   وخُرْساً من الفحشاء عند التهاجُرِ [٤]
ومرْضى إذا لوقوا حياءً وعفّةً   وعند الحفاظِ كالليُوثِ الخوادرِ [٥]
لهمْ ذلُّ إنصافٍ وأُنسُ تواضعٍ   ومنْ عزِّهم ذلتْ رقابُ العشائرِ
كأنَّ بهمْ وصماً يخافُونَ عارَه   وليسَ بهمْ إلاَّ اتقاءُ المعايرِ [٦]

ثم من الشعراء الآن من يجمل المديح فيكون ذلك بابا من ابوابه حسنا ايضا لبلوغه الارادة مع خلوه عن الاطالة وبعده من الاكثار ودخوله في باب الاختصار

(فمن ذلك قول الحطيئة)

تزودُ امرءًا يعطى على الحمد مالهُ   ومنْ يُعطِ أثمانَ المكارمِ يُحمدِ

---

(١) فنن: الفنن: الغصن أو ماتشعب منه جمعه أفنان (٢) الاحدوثة: مايتحدث به الناس. السبق: مايتسابق فيه الناس من المكارم (٣) الشاحب: المتغير من هزال وجوع. طوي البطن: لم يأكل شيئا. المخماص: الجائع. الضحى والأصائل: وقتان يجوع فيهما الممدوح في وقت يشبع فيه غيره (٤) الخنا: الفحش يقال خناخنوا أفحش. التهاجر: التقاطع. (٥) الحفاظ: الذب عن المحارم. الخوادر: جمع مفرده خادر والخادر أجمة الاسد ومنه أسد خادر (٦) المعاير: المعايب.

يرى البُخلَ لا يبقى على المرءِ ماله ... ويعلمُ أنّ المالَ غيرُ مخلّدِ
كسوبٌ ومتلافٌ إذا ماسألته ... تهلّلَ واهتزّ اهتزازَ المهنّدِ (١)
متى تأتِهِ تعشُوا إلى ضوءِ نارهِ ... تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ (٢)

فقد تصرف فى الابيات الاولى فى اصناف المدح المتقدم ذكرها وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاختصار فى البيت الاخير.

(ومن ذلك قول الشماخ)

رأيتُ عرابةَ الأوسيَّ يسمو ... إلى الخيراتِ منقطعِ القرينِ (٣)
إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ ... تلقّاها عرابةُ باليمينِ

وقد اوما السمط بن مروان ابى حفصة فى مدحه شرحبيل بن معن بن زائدة ايماء موجزا ظريفا اتى على كثير من المدح باختصار واشارة بديعة فقال

رأيتُ ابن معنٍ أفتنَ الناسَ جودُه ... فكلّفَ قولَ الشعرِ من كان مفحَما (٤)
وأرخصَ بالعدلِ السلاحَ بأرضنا ... فما يبلغُ السيفُ المهنّدُ درهَما

ومن الشعراء ايضا من يغرق فى المدح بفضيلة واحدة او اثنتين فيأتى على آخر ما

(١) كسوب: كثير الكسب للمال. متلاف: المتلاف كثير التلف أي كثير التلف للمال تهلل. تلألأ وجه. اهتزار المهند: اهتزاز السيف المشحوذ.

(٢) تعشوا: تقصد فى الظلام. قال المرزوقى في شرح الفصيح. عشا يعشوا إذا سار في ظلمة تسمى عشوة. وقال ابن يعيش: عشوته أى قصدته فى الظلام ثم اتسع فقيل لكل قاصد عاش. وتعشوا حال من ضمير المخاطب فى قوله تأته

(٣) عرابه: هو ممدوح الشماخ الأوسى: نسبة إلي أوس جد الطائفة الانصارية. يسموا: يرتفع. منقطع القرين: عادم النظير (٤) المفحم: من لا يقدر أن يقول شعرا. والمعنى إن ممدوحه قد بلغ من كثرة جوده و كرمه على مادحيه أن كلف بقول الشعر من هو عاجز عن قوله. وبلغ من عدله أن رخص ثمن السلاح لعدم الاحتياج اليه.

فى كل واحدة منهما او أكثر وذلك اذا فعل مصيبا به الغرض فى الوقوع على الفضائل ومقصرا عن المدح الجامع لها لكنه يجود المديح حينئذ كلما أغرق فى أوصافه الفضيلة وأتى بجميع خواصها أو أكثرها وذلك مثلا فى الجراءة والاقدام كما قال الفرزدق لسالم الغدانى حين قتل قاتل اخيه العائذ بجوار عبد الملك

إذا كنتَ فى دارٍ تخافُ بها الرَّدَى ... فصمِّمْ كتصميمِ الغدانى سالمِ [١]

سخا طلبا للوترِ نفساً بموته ... فماتَ كريما عائفاً للملائمِ [٢]

نقي ثيابُ الذِّكرِ من دنسِ الخنا ... يُناجي ضميراً مُستدِفَّ العزائمِ [٣]

إذا همَّ أقرى ما به هم ماضيا ... على الهولِ طلاّعا ثنايا العظائمِ

ولما رأى السلطانَ لا ينفعونَه ... قضى بينَ أيديهم بأبيضَ صارمِ

وقد ينبغى ان يعلم مدائح الرجال وهى التى صمدنا للكلام فى هذا الباب تنقسم اقساما بحسب الممدوحين من أصناف الناس فى الارتفاع والاتضاع وضروب الصناعات والتبدى والتحضر وانه يحتاج الى الوقوف على المعين بمدح كل قسم من هذه الأقسام فاما إصابة الوجه فى مدح الملوك فمثل قول النابغة الذبيانى فى النعمان بن المنذر

ألمْ ترَ أنَّ اللهَ أعطاكَ سورةً ... ترى كلَّ ملْكٍ دونها يتذبذبُ [٤]

فانكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

---

(١) هذا رجل من بني غدانه بن يربوع قتل أخوه وكان لقاتله ناحية فى السلطان فلم يعد بمه فشد عليه فقتله . (٢) يقال سخى يسخي وسخا يسخو بمعنى واحد. والعائف. الكاره. والعافيه الكاره ويقال عفت الشيء عياف (٣) استدفاف الامر: تهيؤه . (٤) السورة: القوه والسلطان . والملك بسكون اللام الملك وسكن لضرورة الشعر .

(ومثل ذلك قول نصيب فى سليمان بن عبد الملك)

أَقولُ لركبٍ قافلين لقيتهم   قَفاذاتِ أوشالٍ ومولاكَ قاربُ [١]

القفا الثنية وهى العقبة والعرب تقول لقيت فلانا قفا الثنية أى خلف الثنية

قِفوا خبِّرُونى عنْ سليمانَ إنَّنى   لمعروفِهِ منْ أهلِ وَدَّانَ طالبُ

فعاجوا فأثنوا بالذى أنتَ أَهلُه   ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبْ

هو البدرُ والنَّاسُ الكواكبُ حولَه   وهل يشبه البدرَ المنيرَ الكواكبُ

ومثل قول الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه وهو عامل مصر

لمَّا وقفتُ عليهِ فى الجموعِ ضحىً   وقدْ تعرَّضتِ الحجَّابُ والخدَمُ [٢]

حييتُهُ بسلامٍ وهو مرتفقٌ   وضجَّةُ القومِ عندَ البابِ تزدحمْ

فى كفِّهِ خيزُرانٌ ريحها عبقٌ   فى كفِّ أروعَ فى عِرْنينِهِ شممُ [٣]

يغضى حياءً ويُغضَى منْ مهابتِهِ   فما يُكلَّمُ إلا حينَ يبتسم

---

(١) قفا: وراء . الأوشال . جمع وشل وهو الماء القليل ولم نعثر على ذات أوشال اسما لموضع خاص : قارب : طالب الماء ليلا ولا يقال ذلك لطالب الماء نهارا . وفى التهذيب القارب: الذي يطلب الماء ولم يعين وقتا . ويريد بالمولي نفسه . والخطاب لسليمان بن عبد الملك (٢) نسبت هذه القصيدة للفرزدق يمدح سيدنا عليا بن زين العابدين بن الحسين حين سأل عنه هشام بن عبدالملك . (٣) الخيزران : العود اللدن ، يريد ان العصا التى يمسكها طيبة الرائحة لأنها تستمد طيبها من طيب كفه كف أروع : من يعجبك بحسنه وشجاعته . عرينه : أنفه . شمم : ارتفاع وحسن وهو من علامات السيد الشريف

كلتا يديه ربيعٌ غير ذى خلفٍ هذى خروجٌ وهذى عارضٌ هممُ [١]

(ومثل قول أبى العتاهية فى الهادى)

يَضطربُ الخوفُ والرَّجاءُ إذا حرَّكَ موسى القضيبَ أوفكَّرا

فاما مدح ذوى الصناعات كأن يمدح الوزير والكاتب بما يليق بالفكرة والروية وحسن التنفيذ والسياسة فان انضاف الى ذلك الوصف السرعة فى إصابة الحزم والاستغناء بحضور الذهن عن الابطاء لطلب الاصابة كان أحسن وأكمل للمدح كما قال اشج

بَديهته مثلُ تفكيرهِ متى رمته فهوَ مستجمعُ

(وكما قال منصور النميرى)

وليسَ لأعباء الأمور إذا اعترتْ بمكترثٍ لكنْ لهنَّ صبور

يرَى ساكنَ الأوصال باسطَ وجههِ يريكَ الهوينا والأمور تطير [٢]

وأما مدح القائد فى مايجانس البأس والنجدة ويدخل فى باب شدة البطش والبسالة فان أضيف الى ذلك المدح الجود والسماحة والتخرق فى البذل والعطية كان المديح حسنا والنعت تاما . إذا كان السخاء أخا الشجاعة وكانا فى أكثر الامور موجودين فى بعداء الهمم وأهل الاقدام والصولة وذلك كما قال بعض الشعراء فى جمع البأس والجود

فتيً دَهرُه شطرانِ فيما ينوبهُ ففى بأسهِ شطرٌ وفى جودهِ شطرُ [٣]

---

(١) ربيع : ويروى. غياث : أي نجده ومعونة . غيرذى خلف : يروى أيضا عم نفعها . هذى خروج الخ يروى كذلك تستوكفان ولا يعروهما عدم .

(٢) الأوصال : المفاصل أو مجتمع الأعظام جمع وصل بكسر الواو وضمها .

(٣) البأس . الشدة في الحرب

فلا من بغاةِ الخيرِ فى عينه قذًى ولا من زئير الحربِ فى أُذنِه وقر ١

(وكما قال منصور النمرى فى أفراده ذكر البأس وحده)

ترى الخيل يومَ الحربِ يظمأن تحته وتُروى القنا فى كفّهِ والمناصل ٢

هلالٌ لاطرادَ الأسنّةِ نحرها حرامٌ عليها مَتنها والكواهل ٣

(كما قال بشار بن برد)

ألا أيُّها الحاسدُ المبتغى نجومَ السَّماءِ بسعى أَمَم ٤

سمعتَ بعكرمةَ بنِ العلا فأنشأت تطلبها لست ثَم ٥

إذا عرَضَ اللَّهوُ فى صدرهِ لها بالعَطاءِ وضربِ البُهَم ٦

يلذ العَطاء وسفك الدِّماء ويَغدوا على نِعم أو نِقم

فقلْ للخليفةِ إنْ جئته نَصوحاً ولا خيرَ فى متّهمْ

إذا أيقظتْكَ حروب العِدى فنبه لها عُمراً ثمَّ نم

فتىً لاينامُ على ثأرهِ ولا يَشربُ الماءَ إلا بدَم ٧

وأما مدح السوقة من البدو والحاضرة فينقسم قسمين بحسب انقسام السوقة الى المتعيشين باصناف الحرف وضروب المكاسب والى الصعاليك والحراب

---

(١) بغاة الخير: البغاة جمع مفرد باغى وهو الطالب الزئير: الصوت. الوقر: ثقل فى الأذن يسبب عدم السمع ومنه قوله تعالى كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا أي ثقلا (٢) القنا: الرمح تجمع على قنوات وقنا وقنيات. والمناصل: السيوف. (٣) متنها المتن: الظهر يذكر ويؤنث والجمع متون الكواهل: جمع كاهل وهو مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق وهو الثلث الأعلى فيه (٤) الامم: محركة القرب. (٥) لست ثم: بالفتح اسم يشار به بمعني هناك للمكان البعيد ظرف لا يتصرف والمعنى أنك بعيد عنها ولست أهلالها (٦) البهم. الرجل الشجاع (٧) كناية عن كثرة حروبه وشدة بأسه

والمتلصصة ومن جرى مجراهم فمدح القسم الاول يكون بما يضاهي الفضائل النفسانية التي قدمنا ذكرها خاليا من مثل مدح الملوك ومن قدمنا ذكره من الوزراء والكتاب والقواد وذلك مثل قول الشاعر

يتراحمون ذوى يسارهم   يتعاطفون على ذوى الفقر
وذوو يسارهم كأنهم   من صدق عفتهم ذوو وعر [١]
متحلمين لطيب خيمهم   لايهلعون لنبوة الدهر [٢]

ومدح القسم الثاني يكون يضاهي المذهب الذي يسلكه اهله من الاقدام والفتك والتشمير والجد والتيقظ والصبر مع التخرق والسماحة وقلة الاكتراث للخطوب الملمة كما قال تأبط شرا يمدح صخر بن مالك

وإني لمهد من ثنائي فقاصد   به لابن عم الصدق صخر بن مالك [٣]
أهز به في ندوة الحي عطفه   كما هز عطفي بالهجان الأوارك [٤]
أطيف الحوايا يقسم الزاد بينه   سواه وبين الذئب قسم المشارك
كأن به في البرد أثناء حية   بعيد الخطى شتى الهوى والمسالك [٥]

---

(١) ذوو وعر : مالهم قليل ويقال الرجل وقع في وعر قل ماله (٢) خيمهم . قال أبو عبيدة الخيم الشيمة والخلق والسجيه وقيل الخيم الاصل . نبوة الدهر : جفوته . (٣) لمهد : أي أهديت لأنه لا يقال في الهدية الا أهديت . لابن عم الصدق : متعلق بمهد . والمهدى يكون محذوفا لعلم السامع به ويجوز أن يتعلق بقوله فقاصد يقال قصدته بكذا وعلى هذا يكون قد أعملنا الثاني وهو المختار عند البصريين . (٤) الندوة : أصله الجمع ولهذا يقال نداهم النادى أى جمعهم . عطفه : عطف كل شيء جانبه وقيل العنق على حد قوله تعالي ثاني عطفه أي عنقه ، وقيل خصره الهجان : الاوارك . التي ترعى الارك وهو نوع من الشجر . (٥) شتى النوى . المراد بشتى . المتفرق وتشتت الشيء تفرقه والاشتات جمع شت . المسالك : الطرق . ويروى البيت برواية أخرى هي

قليل التشكي للمهم يصيبه   كثير الهوى شتى النوى والمسالك

يظلُّ بموماةٍ ويمسى بغيرِها جحيشاً ويعروري ظهورَ المعارِكِ [١]

ويَسبق وفدَ الرّيح من حيثُ تنتحى بمنخرقٍ من شدّه المتدارِكِ [٢]

إذا خاطَ عينيه كرَى النَّوْم لم يزَلْ له كالئٌ من قلبِ شيحان فاتِكِ [٣]

وإنْ طلعتْ أولى العداةِ فنفرَةٌ إلى سَلةٍ من صارمِ الغَرْبِ باتِكِ [٤]

إذا هزّهُ فى وجهِ قرْنٍ تهللتْ نواجد أفواهِ المنايا الضَّواحِكِ [٥]

(وقال أبو كبير الهذلى)

ولقَد سريتُ على الظلامِ بمغشمٍ جلدٍ من الفتيانِ غير مُثقّل [٦]

ممَّنْ حملنَ به وهُنَّ عواقِدٌ حُبكَ النِّطاقِ فشبَّ غير مُهبَّلِ [٧]

---

(١) الموماء : المفازة التى لاماء فيها وجمعها موام . جحيشا : وحيدا . يقال حل فلان جحيشا اي منفردا وهو منصوب على الحال . ويعرورى ظهور المعارك : أى يركبها ويروى ظهور المهالك . (٢) وفد الريح : أولها . المنخرق : السريع . يقال : ريح خريق اي شديدة سريعة الهبوب . المتدراك : المتلاحق . (٣) إذا خاط ويروي إذا حاص . الكرى : النوم الخفيف وإضافه الكرى الي النوم كما يضاف البعض الى الجنس . شيحان . الشيحان والشائح والشيح : الحازم . الفاتك : هو الذى يفاجى غيره بمكروه (٤) العداه . الرجالة ويروى العدي يعدون أمام الخيل الباتك القاطع . (٥ فى وجه قرن ويروى فى عظم قرن أى لايتعرض له الامن يقارنه بأسا وشدة تهللت نواجذه . مجاز . والتهلل : الضحك شبه بتهلل البرق ولمعانه (٦) على الظلام اي في الظلام وموضعه نصيب على الظرفية ويجوز أن يكون حالا . لمغشم : المغشم معقل من المغشم وهو الظلمة . الجلد : الصلب القوي . غير مثقل : حسن القبول . (٧) ممن حملن . الضمير للنساء . حبك النطاق . المراد به حبك الثياب لان النطاق لايكون له حبك . والحبك واحدها حبيك والحرق الطرائق . والمعنى إنه من الفتيان الذين حملت امهاتهم بهم وهن غير مستعدات للفراش .

حَملتْ به في لَيلةٍ مزْؤودَةٍ ... كرْهاً وعقدُ نطاقها لمْ يحالِ [1]

فأتتْ بهِ حوشَ الفؤادِ مُبطَّناً ... سُهداً إذا مانام ليلُ الهوْجلِ [2]

ومبرَّءٍ منْ كلِّ غُبَّرِ حيضةٍ ... وفسادِ مُرضعةٍ وداءٍ مُغْيِلِ [3]

ما أنْ يمسُّ الأرضَ إلا منكبٌ ... منهُ وحرْفُ السَّاقِ طيَّ المحملِ [4]

فإذا طَرحتْ له الحصاةَ رأيتهُ ... ينزُوا لوقْعتها نزوَّ الأخيلِ [5]

وإذا انتبهتَ من المنامِ رأيته ... كرُسوبِ كعْبِ الساقِ ليس بزُمَّلِ [6]

وإذا رُميت بهِ الفجاجَ رأيته ... ينضوا مخارمَها هُويَّ الأجدلِ [7]

وإذا نظرْتَ إلى أسرَّةِ وجههِ ... برقتْ كبرْقِ العارضِ المُتهلِّلِ [8]

---

(١) مزؤودة: الزؤد: الزعر. كرها: منصوب به على الحال والتقدير كارهة. النطاق ما تنطق به المرأة تشد به وسطها للعمل وذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر. والمعنى إنها أكرهت ولم تحل نطاقها. (٢) حوش الفؤاد: وحشية لحدته وتوقده يقال: رجل حوشي لايخالط الناس وليل حوشي مظلم هائل: مبطن: خميص البطن الهوجل: الثقيل الكسلان وقيل الاحمق. (٣) غبر الحيض: بقاياه ويروى مبرأ بالنصب ومبرء بالجر فالنصب عطف على غير مهبل والجر عطف على قوله جلد من الفتيان. وفساد مرضعة: أضاف الفساد الى المرضعة لانه أراد الفساد الذي يكون من جهتها مغيل: المغيل من الغيل وهو أنه تغشى المرأة وهى ترضع فذلك اللبن الغيل: ويروي وداء معضل وهو الذي لادواء له كانه أعضل الاطباء والممرضين: (٤) المحمل: حمالة السيف: (٥) فأذا طرحت. ويروى فاذا نبذت. رأيته: جواب إذا رأيته نزو الأخيل ويروى طمور الأخيل. والطمور. الوثوب (٦) وإذا انتبهت من المنام الخ: يروى وإذا يهب من المنام والمعنى إذا استيقظ من نومه انتصب انتصاب كعب الساق (٧) الفج: الطريق الواسع في الجبل ونحوه والجمع فجاج. مخارمها: المخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل والخرم: انف الجبل وجمعه خروم الاجدل: الصقر. (٨) الاسرة: جمع سرار وهي الخيوط التى في الوجه العارض: من السحاب الذي يعرض في جانب السماء. والمعنى يصفه بحسن الطلعة وطلاقة الوجه

تحمى الصِّحابَ إذا تكونُ كريهةٌ ... وإذَا هم أزِموا فمأوَى العُيَّل[١]

ثم نعقب الكلام فى المديح بالكلام فى الهجاء

نعت الهجاء : انه قد سهل السبيل الى معرفة وجه الهجاء وطريقه ماتقدم فى قولنا فى باب المديح وأسبابه اذا كان الهجاء ضد المديح فكلما كثرت أضداد المديح فى الشعر كان أهجى له ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجى فيها وكثرتها فمن الهجاء المقذع الموجع ماأنشدناه أحمد ابن يحيى

كاثرْ بسعدٍ إنَّ سعداً كثيرةٌ ... ولا تبغِ من سَعدٍ وفاءً ولا نَصْرا[٢]

ولا تَدْعُ سَعداً للقِرَاعِ وخلِّها ... إذا أمنت من رَوْعِها البلدُ القفرا[٣]

يَروعكَ من سَعدِ بن عمرو جُسومُها ... وتزْهدُ فيها حينَ تقتلها خبرا

فمن إصابة المعنى فى هذا الهجاء أن هذا الشاعر سلم لهؤلاء القوم أمرين يظن أنهما فضيلتان وليستا بحسب ماوصفناه من الفضائل فضيلتين وهما كثرة العدد وعظم الخلق وغزا بذلك مغازى دلت على حذقه فى الشعر (فمنها) أن أدخل لهم هجاء فى باب الاقوال الصادقة لاعطائه إياهم شيئا ومنعه لهم شيئا آخر وقصده بذلك ان يظن ان قوله فيهم انما هو على سبيل الصدق وذكره إياهم بما فيهم من جيد وردىء (ومنها) مابان من معرفته بالفضائل حتى يميز صحيحها من باطلها فسلم الباطلة ومنع الصحيحة (ومنها) انه قطع عن هؤلاء القوم مايعتذر به الكرام من قلة العدد فأن الكرام أبدا فيهم قلة كما قال السموأل

---

(١) العيل جمع عائل وهو الفقير (٢) الكاثر : الكثير وعدد كاثر كثير قال الاعشى :

ولست بالاكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكاثر

(٣) القراع : القتال خبرا : اختبارا . يقال خبره خبرا بالضم وخبرة بالكسر بلاه

تعيرنى أنّا قليلٌ عديدنَا ... فقلت لها إن الكرامَ قليلُ (١)

(ومن خبيث الهجاء ما أنشدناه احمد بن يحيى أيضا)

إنْ يغدروا أوْ يفجُروا ... أوْ يبْخلوا لايحفلوا
يغدُوا عليك مُرجّلـين كأنَّهمْ لم يفعلوا

فمن جودة هذا الهجاء أن الشاعر به تعمد أضداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم لأن الغدر ضد الوفاء والفجور ضد الصدق والبخل ضد الجود ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل وهو العقل حيث قال : وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا . لأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمة والقحة التى هى من عمى القوة المنيرة كما قال جالينوس فى كتابه فى اخلاق النفس

(ولزياد الاعجم فى غياظ بن حصين بن المنذر)

وسميتَ غيّاظاً ولستَ بغائظٍ ... عدوًّا ولـكنْ للصّديقِ تغيظ
عدُوُّكَ مسرُورٌ وذو الودّ للذِى ... يَرى بكَ من غيظٍ عليكَ كظيظ (٢)
تسمي لما أُوليتَ منْ صالحٍ مضى ... وأنتَ لتعدادِ الذُّنوبِ حفيظ
تلينُ لأهلِ الغِلّ والغمر منهم ... وأنتَ على أهلِ الصّفاءِ فظيظ (٣)

---

(١) تعيرني : يقال عيرته كذا وهو المختار . وقد جاء عيرته بكـذا . إن الكرام قليل : نعم ان الكرام قليل ولهذا نجد أن الموت يعتامهم وولوع الدهر بهم وتضحيتهم فى الدفاع عن أحسابهم وإهانة كرائم نفوسهم مخافة لزوم العارلهم .
(٢) كظيظ : المغتاظ أشد الغيظ (٣) الغمر : الكريم الواسع الخلق فظيظ : سيء الخلق

ومن الهجاء أيضا ماتجمل المعانى كما يفعل فى المدح فيكون ذلك حسنا اذا اصيب به الغرض المقصود مع الايجاز فى اللفظ وذلك مثل قول العباس بن يزيد الكندى فى مهاجاته جريرا ومعارضته إياه فى قوله

إذا غَضِبَتْ عليك بنو تميمٍ حَسِبتَ الناس كلَّهم غِضابا

لو اطَّلعَ الغرابُ على تميمٍ وما فيها من السوْءَات شابا [1]

(ومثل قول مرة بن عداء الفقعسى)

وإذا تَسرُّكَ من تميمٍ خصلةٌ فلما يسوءُكَ من تميمٍ أكثرُ

(وقول الآخر)

ويُقضى الأمرُ حين تَغيبُ تيم ولا يستأذنونَ وهُم شُهود

(وللحكم الخضرى)

ألم ترَ أنهم رقِموا بلؤمٍ كما رقِمتْ بأذْرُعها الحمير [2]

(ومثل قول اعشى باهلة)

بنو تَيمْ قَرارة كلِّ لؤم لكل مَصبٍّ سائلة قرار [3]

وقد تبع ابو تمام حبيب بن اوس الطائى الاعشى فى هذا المعنى فقال

أضحوا بمستن سيل اللوم وارتفعتْ أموالهم فى هضابِ المطل والعلل [4]

(ومثل قول الآخر)

لوْ كان يخفَى على الرَّحمن خافيةٌ من خلقِهِ خَفيتْ عنه بنو أسدِ

---

(١) السوأة : الفاحشة والخلة القبيحة (٢) رقموا بلوم : أى عرفوا وتميزوا به كما تخطط الحمير بالكى بالنار وبذالك تعرف بهذا الكي (٣) القرارة مايقر فيه (٤) أي : أموالهم متحصنه بحيث لا يراها السائلون

(ومثل قول الآخر)

قومٌ إذا ما جنى جانيهم أمنوا ... من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا [١]

(ومثل قول زياد الاعجم)

إني لأكرم نفسي أن أكلفها ... هجاء جرمٍ ولما يهجهم أحدُ [٢]

ماذا يقول لهم من كان هاجيهم ... لا يبلغ الناس ما فيهم وإن جهدوا

(ومثل قول أوس بن معزاة)

فلست بعافٍ عن شتيمة عامرٍ ... ولا حابسي عما أقولُ وعيدُها [٣]

ترى اللؤم ما عاشوا جديداً عليهم ... وأبقى ثياب اللابسين جديدها

لعمرك ما تبلى سرابيلُ عامرٍ ... من اللؤم ما دامت عليها جلودُها

هذه الابيات قالها أوس وهو يهاجي النابغة الجعدي فيقال ان النابغة كان يقول اني وأوسا نبتدر بيتا فمن قاله غلب على صاحبه فلما قال أوس البيت الاخير قال هذا هو البيت الذي كنا نبتدره فغلب أوس عليه . ومثل قول عباس بن مرداس السلمي في سفيان بن عبد يغوث النصري

واوعد وقل ما شئت إنك جاهلٌ ... عليَّ أما أنت امرؤٌ من بني نصرِ

وما أجود ما قال الفرزدق في عبدالله بن عمير الليثي حيث هرب من أبي فديك الخارجي وكان يتمنى لقاء الخوارج

تمنيتهم حتى إذا ما رأيتهم ... تركت لهم عند الجلاد السرادقا [٤]

وأعطيتُ ما تعطى الحليلة بعلها ... وكنت حبارى إذ رأيت البوارقا [٥]

---

(١) قودا : بقصاص. (٢) جرم : بطن من بطون طيء وقيل بطن من بطون قضاعة. جهدوا : بلغوا نهاية طاقتهم ووسعهم في الهجاء. (٣) عامر : هي قبيلة النابغة الجعدي (٤) الجلاد : القتال . السرادقا : الذي يمد فوق صحن البيت جمعه سرادقات . (٥) الحباري : طائر للذكر والأنثى والواحد والجمع وألفه للتأنيث . وارقا : السيوف

وفى قوله ماتعطى الحليلة بعلها مع ايجازه عجائب وكذلك فى قوله حبارى ومنهم من يفرط فى ذكر نقيصة واحدة كما يغلو عند المدح فى فضيلة واحدة

(فن ذلك للحطيئة يغرق فى ذكر البخل وحده)

كدَدت بأظفاري وأعملت مِعولى ... فَصادفتُ جُلمودًا من الصَّخر أملسا [١]

تشاغَلَ لما جئتُ فى وجه حاجتى ... وأطرَقَ حتى قلت قدمات َأوعسى

وأجمعتُ أن أنعاه حين رأيته ... يَفوق فُواق الموتِ حتى تنفَّسا [٢]

فقلت له لا بأسَ لست بعائدٍ ... فأفرَخَ تعلوه السَّمادير مُلبِسا [٣]

(ولجرير فى ذكر العجز وحده)

ولا يتَّقون الشرَّ حتى يصيبهم ... ولا يعرفون الأمرَ إلا من النذْر [٤]

ثم ينظر أقسام المديح وأسبابه فيجرى أمر الهجاء بحسبها فى المراتب والدرجات والاقسام ويلزم ضد المعنى الذى يدل عليه إذ كان المديح ضد الهجاء ولنتبع القول فى الهجاء بالقول فى المراثى

نعت المراثى : ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر فى اللفظ ما يدل على انه لهالك مثل كان وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك وهذا ليس يزيد فى المعنى ولا ينقص منه لأن تأبين الميت انما هو بمثل ما كان يمدح فى حياته وقد يفعل فى التأبين شىء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها وهو ان يكون الحى مثلا يوصف بالجود فلا يقال كان جوادا ولكن يقال ذهب الجود أو فمن للجود بعده أوليس الجود مستعملا

---

(١) كددت : اجتهدت . معولي : فأسى (٢) يفوق فواق : يخرج صوته .
(٣) فافرخ : هد أوسكن روعه . السمادير : ضعف البصر (٤) النذر : النحب والأرش جمعه نذور والنذر لاتكون إلا فى الجراح صغارها وكبارها .

مذتولى وما أشبه هذه الأشياء كما قالت ليلى الاخيلية ترثى توبة بن الحمير بالنجدة على هذه السبيل

فليسَ رجالُ الحربِ يأتونَ بعدَها   بعارٍ ولا غادٍ بركبٍ مسافرِ

ومن الشعر من يرثى بذكر بكاء الأشياء التى كان الميت يزاولها وغير ذلك ومثله يحتاج الى تعلم صحة هذا المعنى فى مثل ما تكلم به فى مثل هذه الاشياء فأنه ليس من إصابة المعنى ان يقال فى كل شىء تركه الميت بأنه يبكى عليه لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكى عليه لكان سيئة وعيبا لاحقين له. فمن ذلك مثلا ان قال قائل فى ميت بكتك الخيل اذ لم تجد لها فارسا مثلك كان مخطئا لأن من شأن ما كان يوصف فى حياته بكده اياه ان يذكر اغتباطه بموته وما كان فى حياته يوصف بالاحسان اليه أن يذكر اغتمامه بوفاته ومن ذلك احسان الخنساء فى مرثيتها صخرا وأصابتها المعنى حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس صخر بموته

فَقَدْ فَقَدَتْكَ حذْفةُ فاستراحتْ   فَليتَ الخيلَ فارِسُها يراها [1]

ولو قالت فقدتك حذفة فبكت لاخطأت وبكاء من يجب أن يبكى على الميت إنما هو من كان يوصف اذا وصف فى حياته باغاثته والاحسان اليه كما قال كعب ابن سعد الغنوى فى مرثية أخيه

لِيَبكِكَ شيخٌ لم يجدْ من يُعينه   وطاوي الحشا نائى المزارِ غريب [2]

(وكما قال أوس بن حجر يرثى فضالة بن كلدة الاسدى)

---

(١) حذفة اسم فرس صخر ويروى رحله وطلقه. والمعنى تقول الخنساء ليتك ترى الآن ماصارت اليه فرسك من الراحة والقوه والسمن لأنها استراحت من غزو صخر عليها (٢) الحشا: مادون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه. والمعنى طاوى الحشا من شدة الجوع. نائي المزار: بعيدها.

ليبكى الشَّرْب والمدَامة والـــفِتْيان طرّاً وطامعٌ طمَعَا[1]

وَذَاتهدْم عار نواشِرُها تصمتُ بالماءِ تَوْلَباجدَعا[2]

والحى إذحاذروا الصباحَ وإذ خافوا مغيرا وسائراً تَلعا[3]

فيجب أن يتفقد مثل هذا فى إصابة الغرض والانحراف عنه : واذ قد تبين مما قلنا آنفاً انه لا فصل بين المديح والتأبين الا فى اللفظ دون المعنى فاصابة المعنى به ومواجهة غرضه هو أن يجرى الامر فيه على سبيل المديح فمن المراثى التى تشبه فى المديح إستيعاب الفضائل التى قدمنا ذكرها والابيات عليها مثل قول كعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه

لَعَمرى لئِنْ كانتْ أصابتْ مُصيبة أخى والمنايا للرجالِ شعوب

لَقَدْ كانَ أما حلمه فمرَوح علينا وأمّا جهلهُ فَغريب

أخى ماأخى لافاحِشٌ عِندَ بيتهِ وَلا ورِعٌ عِندَ اللّقاءِ هيوب[4]

فقد أتى فى هذه الابيات بما وجب أن يأتى به فى المراثى إذ اصاب بها المعنى وجرت على الواجب أما فى البيت الاول فتذكر مايدل على أن الشعر مرثية لهالك لامديح لباق وأما فى الابيات الأخر الاربع التى هى العقل والشجاعة والعفة والحلم ثم أفتن كعب فى هذه المرثية بعد ذلك وزاد فى وصف بعض الفضائل مالم يخرج به عن إستقامة وهو قوله

---

(١) الشرب : بالفتح جماعة الشاربين . المدمه: الخمر: طرا :جميعا : (٢) ذات هدم: أي خلق باليه : عارنوا شرها : أذرعها عاريه : التولب : ولد الجحش الصغير : جدعا : سيء الغذاء : (٣) حاذروالصباح : خافوا من مجيئه لانه وقت أغارة وحرب وهم قد فقد واشجاعهم والمدافع عنهم تلعا : طويل الظهر أو العنق (٤) هيوب : مخيف

حليمٌ إذا ماسورةُ الجهلِ أطلقت ... حبا الشيبِ للنفسِ اللجوجِ غلوبُ (١)
كعاليةِ الرمحِ الرديني لم يكن ... إذا ابتدرَ القومُ العلاءَ يخيبُ (٢)
فأني لباكيه وأني لصادقٌ ... عليه وبعضُ القائلين كذوبُ
ليبكك شيخٌ لم يجد من يمينه ... وطاوي الحشا نائي المزارِ غريبُ
جموعُ خلالِ الخيرِ من كلِّ جانبٍ ... إذا جاءَ جياءٌ بهن ذهوبُ (٣)
فتى لايبالي أن يكونَ لجسمهِ ... إذا نالَ خلاتُ الكرامِ شحوبُ
حليمٌ إذا ماالحلمُ زينَ لأهلهِ ... مع الحلمِ في عينِ العدوِّ مهيبُ
إذا ماتراءاهُ الرجالُ تحفظوا ... فلم ينطقوا العوراءَ وهو قريبُ (٤)

ومثل قول أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الاسدى بجميع الفضائل التى ذكرناها إلا العفة وحدها فانه ترك ذكرها الا انه فى بعض القصيدة وصفه بالكمال وفى الكمال كل فضيلة من العفة وغيرها

أبا دُليجةَ من يكفي العشيرةَ إذ ... أمسوا من الخطبِ في نارٍ وبلبالِ (٥)
أم من يكونُ خطيبَ القومِ إذ حفلوا ... لدى الملوكِ ذوي أيدٍ وإفضالِ
أم من لأهلِ لواءٍ في مسكعةٍ ... من حقهم ليسوا حقًّا بأبطالِ (٦)
أم من لحيٍّ أضاعوا بعدَ أمرهم ... بين القسوطِ وبين الدينِ زلزالِ (٧)
فرّجت غمّتهم وكنت معينهم ... حتى استقرّت نواهم بعد تزوالِ (٨)

---

(١) سورة الجهل : شدته . اللجوج : المترددة والمتمادية في ماهي عليه (٢) عالية الرمح : اعلاه (٣) جموح خلال الخير : مسرع اليه. جياء : كثير المجيء (٤) شحوب : الشاحب : المتغير اللون لعارض من مرض ونحوه (٤) التحفظ : قلة الغفلة فى الامور والتيقظ من السقطة كأنه على حذر (٥) البلبال : شدة الهم والوساوس. والبلبال بالكسر المصدر (٦) المسكعة : كمحدثه المضلة من الأرضين لايهتدى فيها لوجه الامر (٧) القسوط : الجور والعدول عن الحق . (٨) نواهم : اقامتهم

فقد رثاه فى هذه الأبيات بما جانس العقل والرأى والسن ونحو ذلك وقال

أبا دُليجةَ من يوصِى بأرملةٍ ... أم من لأشعثَ ذِى طِمرَينِ طِملالِ[١]

وما خليجٌ من المرّاز ذو حدبٍ ... يرمى الضرير بخشب الأيكِ والضالِ[٢]

يوماً بأجودَ منه حينَ تسأله ... ولا مُغِبٌ ببرحٍ بينَ أشبالِ[٣]

ليثٌ عليه من البرديِّ هِبرِيةٌ ... كالمرزبانىِّ عيّارٌ بأوصالِ[٤]

يوماً بأجرأ منه جدّ بادرةٍ ... على كمى بمهدِ الحدِّ فصّالِ

وقد رثاه فى هذه الابيات بما جانس البذل والجود والسماحة والشجاعة ولم يذكر العفة الا انه قال فى أول القصيدة

أم حصانٌ فلم تضرب بكلتها ... قد طفت فى كل هذا الناس أحوالى

أى امرىءٍ سوقة ممّن سمعت به ... أندىّ ولكلٍّ منهُ أى إكمالِ

(وقال أوس يرثى فضالة)

أيّتها النفسُ أجمِلى جزعاً ... إنّ الذى تحذرينَ قدْ وقعا

إنّ الذِى جمعَ السماحةَ والنجدةَ والباسَ والنّدَى جمعا

الألمعىُّ الذِى يظنُّ بكَ ... الظنَّ كأنْ قدْ رأى وقدْ سمعا[٥]

---

(١) الطمر : بالكسر الثوب الخلق أو الكساء البالى من غير الصوف جمعه أطمار . الطملال : العارى من الثياب والفقير السيء الحال القبيح الهيئة (٢) الأيك : الشجر الملتف الكثير . الضال : نوع من الشجر أو السدر البري (٣) المغب الأسد . البرح : الشدة والشر . الأشبال : جمع مفرده شبل وهو ولد الأسد اذا أدرك الصيد . (٤) الهبرية ما يتناثر من البردى فيبقى فى شعره متلبدا . عيار : هو الذى يذهب باوصال الرجال الي أجمته . ويروي عيال : المتبختر فى مشيه (٥) الألمعى : قال صاحب اللسان هو الداهية التي يتظنن الامور فلا يخطىء . وقيل : هو الذكى المتوقد الحديد اللسان والقلب ، وقال الازهرى الالمعي : الخفيف الظريف

فقد جمع فى هذه المرثية جميع الفضائل ووضع الشىء من ذلك مواضعه . ومن المراثى التى تشبه فى المديح إقتضاب المعانى واختصار الالفاظ ما قاله أوس فى قصيدته يرثى فضالة التى أولها

أَلم تكسِفُ الشمسُ شمس النهار مع النجمِ والقمرِ الواجبِ
لِهلْكِ فضَالةُ لا تستوى الفقود ولا خلة الذاهبِ
وأَفضلت فى كلِّ شىءٍ فما يقاربُ سعيكَ من طالبِ
نجيحٌ مليحٌ أخو مأقط نِقاب يحدثُ بالغائبِ [١]
ويكفي المقالة أهل الرجال غيرَ معيب ولا عائبِ

وليس ينبغى للناظر أن يظن خطأ فى وضع مليح موضع المدح بالفضائل النفسية لان مليحاً فى هــذا الموضع ليس هو من قولهم قريش ملح الناس أى يستشفى بهم والذى يشهد بصحته قوله نقاب يحدث بالغائب لان هذا من جنس الرأى والحدث

(وقول الشماخ فى عمر بن الخطاب)

فمن يسعَ أو يركبْ جناحى نعامةٍ ليُدركَ ماقدَّمتَ بالأمس يُسبق [٢]

(وقول الحطيئة يرثى علقمة بن علاثة)

فما كانَ بيني لو لقيتك سالما وبين الغِنَى إلا ليال قلائل
ولو عشتَ لم أمالل حياتي فان تمت فما فى حياةٍ بعدموتك طائل [٣]

ومنهم أيضاً من يغرق فى وصف فضيلة واحدة على حسب ما تقدم وتكون جميع الاحوال فى المراثى جارية على حسب أحوال المديح وفى ماتقدم فى باب

---

(١) نجيح يقال رجل نجيح منجح الحاجات ، ورأى نجيح صواب
(٢) فمن يسع أو يركب الخ : من يكلف لحاقك كان مسبوقا وضرب المثل بجناحى النعامة لانه يضرب به المثل في خفة العدو (٣) الطائل : الفضل والقدرة والسعة.

المديح فى وصف ذلك ما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع وليل كلامنا فى المراثى الـكلام فى التشبيه

نعت التشبيه: يجب أن نذكر أولا معنى التشبيه ثم نشرع فى وصفه فنقول إنه من الامور المعلومة أن الشىء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذا كان الشيئان اذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار الاثنان واحدا فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معان تعمهما ويوصفان بها وافتراق فى أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها واذ كان الامر كـذلك فاحسن التشبيه هو ما اوقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات اكـثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما الى حال الاتحاد • ومما جاء من التشبيهات الحسـان قول يزيد بن عوف العليمى يذكر صوت جرع رجل قرى اللبن

فغب دِخالاً جرعهُ متواتِرٌ كوَقعِ السّحابِ بالطِّرافِ الممدَّدِ

فهذا المشبه انما يشبه صوت الجرع بصوت المطر على الخباء الذى من ادم ومن جودته انه لما كانت الاصوات تختلف وكان اختلافها انما هو بحسب الاجسام التى تحدث الاصوات اصطكاكها وليس يدفع أن اللبن وعصب المرى اللذين حدث عن اصطـكاكهما صوت الجرع قريب الشبه من الأديم الموتن والماء اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت المطر وعند سلوك هذه السبيل فى تعرف جودة التشبيه يستجاد قول جبهاء الاشجعى فى تشبيه صوت حلب عنز بصوت الكير اذا نفخ

كأنَّ أجيجَ الكيرِ أرْزامُ شخبِها إذا امتاحها فى مِحلَبِ الحىِّ مائح[1]

(١) أجيج الـكير: صوته . شخبها: الشخب ما خرج من الضرع من اللبن امتاحها: استدر لبنها . المائح: المستدر اللبن يقال: امتاحت الشمس زفرى البعير استدرت عرقه

وقال أوس بن حجر يشبه ارتفاع أصواتهم فى الحرب تارة وهمودها وانقطاعها تارة بصوت التى تجاهد أمر الولادة

لَهَا صَرْخَةٌ ثُمَّ إسكَاتَةٌ ... كما طرَّقَتْ بِنفاس بكر[١]

ولم يرد المشبه فى هذا الموضع نفس الصوت وانما اراد حاله فى ازمان مقاطع الصرخات واذا نظر فى ذلك وجد الذى وقف بين الصوتين واحدا وهو مجاهدة المشقة والاستعانة على الألم بالتبديد فى الصرخة ، ومن جيد التشبيه قول الشماخ يذكر لواذ الثعلب من العقاب

تَلوذ ثَعَالِبُ الشرَّفَينِ منها ... كما لاذَ الغريمُ منَ التَّبيعِ[٢]

وقد يختلف اللواذان بحسب اختلاف اللائذين فاما التبيع فهو ملح فى طلب الغريم لفائدة يرومها منه والغريم بحسب ذلك مجتهد فى الروغان فى اللواذ خوفا من مكروه يلحقه وكذلك الثعلب والعقاب سواء لان العقاب ترجو شبعها والثعلب يخاف موته وقال الشماخ

كأنَّ على أوْرَاكِهَا منْ لُعابهِ ... وخيفةُ خطمى بماء مُرَجرجِ[٣]

فشبه لعاب الفحل اذا ظهر على أوراك الاتن عند كدمه اياها بالخطمى وهو شبيه به فى قوام الثخن وفى الرغوة وفى اللون أيضا وذلك أن الحمار انما يكثر كدمه الاتن فى الربيع عند خضرة الرطب وشره فى ذلك الوقت. وقد احسن الشماخ أيضا فى قوله حين شبه اضلاع الناقة حين براها السير بالقسى الموترة

---

(١) طرقت : من التطريق وهو خروج بعض الولد عند الوضع
(٢) تلوذ : تفر . الثعالب : جمع مفرده ثعلب . الشرفين : تثنيه شرف وهو ماشرف من الارض . الغريم : الشخص الذى له الدين والذي عليه والمراد هنا الثاني . التبيع : صاحب الدين. (٣) الخطمى : بكسر الخاء وفتحها نبات محلل منضج ملين نافع لعسر البول والحصا وغير ذلك من الامراض خصوصا مع الخل فانه نافع للاسنان

فقرَبْتُ مبراةً كأنَّ ضلوعَها　　من الماسخيّاتِ القِسيَّ الموتَّرا (١)

مبراة من البرة التى تجعل فى الانف من الناقة والماسخيات قسى تنسب الى قوم وقد أحسن الشماخ فى هذا التشبيه من قبل اجتماع الاضلاع والقسى الموترة فى الشكل والتوتر والاعصاب والاوتار ولم يرد الا الشكل فقط وقد أتى على مافيه ولابن احمر الباهلى يذكر قلب الفرس عند الحركة السريعة

حتى ضحية طاويا ذا شرة　　وفؤادهُ زجل كعُرْفِ الهُدهدِ

فتواتر نبض قلب الفرس إذا تحرك قريب الشبه من تواتر حركة عرف الهدهد

(وللمرار)

لها قلاص نعام يرتقين بها　　كأنهنَّ سبيٌ لابسوا الهدمَ

فما أحسن ماشبه فواضل ريش النعام بانسدال الاطمار الرثة على اللامس ولا سيما السبي فان فى مشيهم اعجمية تشبه مشى النعام وفى ألوان ثيابهم قتمة من الدرن تشبه قتمة ريش النعام ففى الشيئين اشتراك فى معان كثيرة وقد يقع فى التشبيه تصرف الى وجوه تستحسن (فمنها) ان تجمع تشبيهات كثيرة فى بيت واحد والفاظ يسيرة كما قال امرؤ القيس :

له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ　　وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تتفلِ (٢)

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء وذلك أن مخرج قوله له ايطلا ظبي إنما هو على أنه له ايطلان كأيطلى الظبي وكذا ساقان كساقى نعامة وارخاء كارخاء السرحان وتقريب كتقريب التتفل (ومنها) أن يشبه شيء باشياء فى بيت

---

(١) الموتر: الذى شدت بالاوتار فقد شبه ضلوع الناقه في الانحناء بالقوس وهذا تشبيه حسن بديع (٢) أيطلا ظبي: خاصرتا ظبي وانما خص الظبي لأنه ضامر وكذلك النعامة لانها طويلة الساقين. الارخاء: الجري الذى فيه سهولة، مأخوذ من الرخاء وهو الريح السهلة. السرحان: الذئب. تتفل: ولد الثعلب.

أو لفظ قصير وذلك كما قال امرؤ القيس

وتعطو برَخص غير شَثْنٍ كأنه أساريعُ ظَبي أو مساويكُ إسحلِ [١]

(ومنها) أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الاحوال كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيها

ومشدودةِ السَّكّ موضونةٍ تضائل في الطيّ كالمبرَدِ [٢]

(ثم وصفها في حال النشر في هذه الابيات فقال)

تَفيضُ على المرءِ أرْدانُها كَفَيْضِ الأتيّ على الجدْجدِ

(وكما قال يزيد بن الطثرية يشبه رأسه في حال كون الجمة عليه وبعد حلقها)

فأصبحَ رأسي كالصخيرَةِ أشرفَتْ عليها عقابٌ ثم طارَتْ عقابها [٣]

وأحسن أيضا في تشبيه رأسه بعد الحلق بالصخرة وذلك انه قريب منها في الضخامة والملامسة واللون المائل الى خضرة وقد قال بعضهم في مثل ذلك

جنا كل إملاءِ الأكفّ كأنها رؤوسُ رجالٍ حُلقَتْ في المواسم

(وقال الحسين بن مطير يشبه أفعال رجل مات وكان جوادا)

فتًى عيشَ في معروفه بعدَ موته كما كانَ بعدَ السيل مجراه مرتعا

---

(١) تعطو : تتناول . برخص : بأصابع رخص لينه . غير شثن : غير خشنه أساريع : صغار . ظبي . اسم رمله . الاسحل : شجر يستاك به . (٢) مشدودة : متداخل بعضها في بعض . السك : الدرع . ويروى مسرودة الشك. تضاءل في الطي : يعني اذا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالمبرد . (٣) أشرفت عليها الخ : أي علت عليها ووقفت والمراد هنا بالعقاب شعره الذي في مقدم رأسه فانه قد شبه رأسه قبل حلقها بالصخرة الصغيرة قد أشرف عليها عقاب وبعد حلقها بالصخرة التي طار عنها العقاب

ومن أبواب التصرف فى التشبيه ان يكون الشعراء قد لزموا طريقة واحدة من تشبيه شيء بشيء فيأتى الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التى أخذ فيها عامة الشعراء فمن أمثال ذلك أن اكثر الشعراء يشبهون الخوذ بالبيض كما قال سلامة ابن جندل

كأنَّ نعاماً باضَ فوْق رؤوسهم ... بنهىِ القذافِ أوْ بنهْى مخفقِ

(وقال)

كأنَّ نَعام الدَّوِّ باضَ عليهمِ ... وأعينهم تحتَ الحبيكِ الجواحرِ [١]

واكثر الشعراء يلتزمون هذا التشبيه فقال أبو شجاع الازدى

فلمْ أرَ إلا الخيلَ تعدُو كأنما ... سنورُها فوْقَ الرؤوس الكواكب [٢]

وربما كان الشعراء يأخذون فى تشبيه شيء بشيء والشبه بين هذين الشيئين من جهة ما فيأتى شاعر آخر فى تشبيهه من جهة أخرى فيكون ذلك تصرفا أيضا مثال ذلك أن جل الشعراء يشبهون الدرع بالغدير الذى تصفقه الرياح كما قال أوس بن حجر

وأماسَ صوْلِى كنهيِ فزارةٍ ... أحسَّ بقاعٍ نفخَ ريحٍ فأجفلاَ [٣]

(وقال الآخر)

وعليَّ سابغة الذُّيول كأنها ... سوقُ الجنوب جنابَ نهىِ مُفرط [٤]

---

(١) الدو : الفلاة الواسعة. الحبيك: جمع حبيكة وهى البيضة . الجواحر: البيض
(٢) سنورها: لبوس من قد يلبس فى الحرب. (٣) النهي : بفتح النون وكسرها الغدير أو شبهه جمعه أنهو انهاء . بقاع : القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام جمعه قيع وقيعه وقيعان بكسرهن وأقواع . (٤) سابغة الذيول : درع تامه طويلة واسعة . الجنوب : ريح تخالف الشمال مهبا من مطلع سهيل الي مطلع الثريا جمعه جنائب . نهى مفرط : غدير : زير

وكثير من الشعراء ينحون فى تشبيه الدروع هذا المنحى وانما يذهبون الى الشكل وذلك أن الريح تفعل بالماء فى تركيبها اياه بعضا على بعض مايشبهه فى حال التشكيل. فقال سلامه بن جندل عادلا عن تشبيه الشكل الى تشبيه اللين وذلك إن اللين من دلائل جودة الدرع لصغر قتيرها وحلقها

فألقوا لَنا أرْسَانَ كل نجيبةٍ وسابغةٍ كأَنها مَتنُ خُرْنقِ [1]

(وقال يذكر بريقها وهو وجه غير الوجهين الاولين)

مداخلةٌ مِنْ نسجِ داودَ سكُها كمنكَبِ ضاحٍ من عمايةِ مُشرِق

(ومن التشبيه الجيد للحكم الخضرى يصف غليان القدر بما فيهامن قطع اللحم)

كأن جذُولَ النَّابِ فيها إذاغلتْ دَعاميصُ تخشى صائداً فتعومُ [2]

(ولقيس بن زهير)

كأن خذاريفَ السواعدِ بيننا مغالى غواةٍ يَلعبونَ بها لِعبا [3]

(وللرقبان أحد بنى عرافة بن سعد بن زيد)

وقدْ سقوهنَّ سجالاً فاستقَوْا منْ أجنٍ كأنهنَّ الزنبق [4]

ثم اتبع القول فى التشبيه القول فى الوصف

نعت الوصف: أقول الوصف انما هو ذكر الشىء كما فيه من الاحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب

---

(١) ارسان جمع رسن وهو الحبل وما كان من زمام على أنف. نجيبه: الناقه المربعه. المتن: الظهر. خرنق: أرنب و المعنى درع لين كأنه ظهر أرنب (٢) الجذل: أصل الشيء. الناب: السن خلف الرباعيه. الدعاميص: جمع دعمص وهى دويبه صغيره تكون في مستنقع الماء (٣) خذاريف: جمع مفرده خذروف وهو شىء يدوره الصبي بيده فيسمع له دوى (٤) السجال: جمع سجل وهو الدلو الضخمه المملوءة ماء

المعاني كان أحسنهم من أتى فى شعره بأكثر المعانى التى الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته (فمن ذلك) قوله الشماخ) يصف أرضا تسير النبالة فيها

خلت غير آثار الأراجيل تَرْتَمى ... تُقعقعُ فى الآباطِ مِنها وِفاضُها [١]

فقد أتى فى هذا البيت بذكر الرجالة وبين أفعالها بقوله ترتمى ومن الحال فى مقدار سيرها بوصفه تقعقع الوفاض إذ كان فى ذلك دليل على الهرولة أو نحوها من ضروب السير ودل أيضا على الموضع الذى حملت فيه هذه الرجالة الوفاض وهى أوعية السهام حيث قال فى الآباط فاستوعب أكثر هيئات النبالة وأتى من صفاتها بأولاها وأظهرها عليها وحكاها حتى كأن سامع قوله يراها (ومن ذلك) قول أبى ذؤيب الهذلى يصف حال السيل عند انقلاع السحاب وسكون المطر

تَقطَّعَ أقرانُ السحابِ عجيجُ ... لكلِّ مَسيلٍ منْ تِهامة بعدَ ما [٢]

(ومنه قول رجل من هذيل يصف حال القوم فى الحرب عند الجلاد

ضربٌ تَغمض دونهُ الحدَق ... كغماغمُ الثيرانِ بينهُمُ

(ومثله قوله معاوية بن خليل النصرى من نصر بن قعين يذكر نباهة حيه)
(وأنه اشهر من جدلم حى آخر)

ونحنُ السماكانِ والمرْزَم ... فنحنُ الثُرَيّا وعيُّوقُها [٣]

تُرى فى السَّماءِ ولا تعلمُ ... وأنتم كواكبُ مجهولةٌ

(وليزيد بن الصمد يصف آثار خيل وابل طردها فنجا بها)

---

(١) الآباط : جمع أبط وهو باطن المنكب . الوفاض : جمع وفضة وهى الجعبة من الأدم (٢) المسيل : موضع سيل الماء كالوادى . عجيج : صوت .
(٣) العيوق : كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء سمي بذلك لانه يعوق الدبران عن لقاء الثريا : المرزم : قال ابن كناسه : المرزام نجمان وهما مع الشعريين فالذراع المقبوضة هي احدي المرزمين ونظم الجوزاء أحد المرزمين .

ألا رُبَّ غزْوٍ ما رَكبنا جوَادَه وماقدْ عَقرْنامن صفيٍّ ومن قرْمٍ[١]

وأصبَحنَ قدجاوزْنَ أسفلَ ذى حسا وآثارُها فَوْقَ المصيخ كالرَّقمِ

(ولعبد الرحمن بن عبد الله القس يصف اصغاء السامعين الى الغناء الحسن)

(المطرب وهو فى سلامه)

إذا ماعجَّ مزْهرُها إليْها وعاجتْ نحوهُ أُذنٌ كِرامُ[٢]

فأصغوْانحوَهاالأسماعَ حتّي كأنهمُ وما ناموا نِيامُ

(وللمرار بن المنقذ من بلعدوية يصف الفرس الكريم)

ذو مِراحٍ فإذَا وقَّرْتَهُ فَذَلولٌ حسنُ الخلقِ يَسِرْ[٣]

(وليزيد بن مالك الغامدى يصف فعل سنابك الخيل فى الارض)

يُثِرْنَ بِسهلِ الأرضِ ممَّا يَدُسْنَه عجاجاً وبالحِزانِ نارُ الحباحبِ[٤]

(ولعدى بن الرقاع العاملى يصف فعل سنابك حمارين اذا عدوا)

يَتعاوران منَ الغبارِ ملاءةً غبراءَ محكمةً هما نَسجاها[٥]

تطوى إذا عَلوا مكاناً ناشزاً وإذا السنابكُ سَهلت نشراها[٦]

---

(١) الصفى : من الغنيمة مااختاره الرئيس لنفسه ويجمع على صفايا قال الشاعر

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

القرم : الفحل : (٢) عج : صاح . مزهرها : المزهر كمنبر العود يضرب به . عاجت نحوه أذن: أي مالت وعطفت . كرام :جمع كريمه والكريمة كل جارحة شريفه كالاذن واليد (٣) وقرته :حملته حملا ثقيلا . (٤) نار الحباحب : دويبه صغيرة تضيء بالليل والمعنى ان ماافتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة كالحباحب في حال طيرانها ليلا مضيئة (٥) يتعاوران من الغبار الخ: أى كل منهما يعير الآخر ملاءة من الغبار الذي يثيره (٦) ناشزا: مرتفعا . سهلت : أي سارت فى أرض سهلة مستويه ذات غبار . نشراها :الضمير للملاءه أى اذا سارا فى مكان عال ذهبت عنهم الملاءه ، وإذا سارا في مكان سهل تلفعاها ونشراها فوقهم

(ولذى الرمة)

ترى الخود يكرهن الرياح إذا جرت ومي بها لولا التحرج تفرح (١)
إذا ضربتها الريح فى المرط أشرفت روادفها وانضم منها الموشح

ولنتبع القول فى الوصف بالقول فى النسيب

نعت النسيب : اقول ان كثيرا من الناس يحتاج الى ان يعلم اولا ما النسيب ونحن نحده فنقول إن النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف احوال الهوى به معهن وقد يذهب على قوم ايضا موضع الفرق بين النسيب والغزل والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذى اذا اعتقده الانسان فى الصبوة الى النساء نسب بهن من اجله فكأن النسيب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه والغزل انما هو التصابى والاستهتار بمودات النساء ويقال فى الانسان انه غزل اذا كان متشكلا بالصورة التى تليق بالنساء وتجانس موافقاتهن لحاجته بالوجه الذى يجذبهن الى ان يملن اليه والذى يميلهن اليه هو الشمائل الحلوة والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاح المستغرب ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء متشاج وانما هو متفاعل من الشجى اى متشبه بمن قد شجاه الحب واذ قد بان ان الذى قلناه على ما قلنا فيجب ان يكون النسيب الذى يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الادلة على التهالك فى الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة وما كان فيه من التصابى والرقة أكثر مما يكون من الخشن والجلادة ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الاباء والعز وان يكون جماع الامر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ووافق الانحلال والرخاوة فاذا كان النسيب كذلك فهو المصاب

(١) الخود : الناعمة الحسنة الخلق جمعها خودات وخود. مى : معشوقة ذى الرمة التحرج : الضيق والملل. تفرح : لأنها تكون سببا فى اظهار محاسنها. المرط : بالكسر كساء من صوف أو خز جمعه مروط . الروادف : طرائق الشحم.

به الغرض وقديدخل فى النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الاحبة بالرياح الهابة والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة والخيالات الطائفة وآثار الديار العافية وأشخاص الاطلال الداثرة وجميع ذلك اذا ذكر احتيج ان تكون فيه ادلة على عظيم الحسرة ومن مضى الاسف والمنازعة • ولست اذكر متى سمعت فى التشوق باثار الديار أوجز ولا اجمع ولا ادل على لاعج الشوق ومكمد الوجد من قول محمد بن عبيد الازدى

فلم تدعْ الارواحُ والماء والبلَي من الدارِ إلاّ مايشوقُ ويشغفُ [١]

ولعمرى ان عمرو بن احمر الباهلى قد اوجز وابان عن تشوق وعظم تحسر بقوله

معارفُ تلوى بالفؤادِ وإنْ تقلْ لها يدنى لى حاجةً لم تكلّمِ [٢]

واما قوله لم تكلم فهو تجاهل الهائم وتدله الواله فانه قد يحتاج الى ان يكون فى شعر الوامق دليل على انه للتحنن • وممن شاقته المنازل صخر الخضرى وقد مر على ربع فقال

بُليت كما يَبلى الرّداءُ ولا أرى جناباً ولا أكنافَ وزرةَ تخلقُ

أُلوّى حيازيمى بهنّ صبابةً كما تتلوى الحيّةُ المتشرّقُ [٣]

وممن شاقه البرق فاحسن مامر به من الشوق حبيش بن مطر العامرى حيث يقول ويذكر خفقان قلبه

أجَدكَ لايبدوا لكَ البرقُ مرّةً من الدّهر إلاّ ماءُعينيكَ يذرُفُ [٤]

وقلبكَ منْ فرطِ اشتياقٍ كأنه بدا لامعٌ أو طائرٌ يتطرّفُ

---

(١) الارواح : جمع مفرده ريح . الا ماتشوق ويشغف : أي الارسوما واثارا تسبب الشوق والشغف على مامضى من ايام الانس والنعيم (٢) معارف تلوى : المعارف الاثار ، تلوي تذهب به (٣) الحيزوم مااستدار با لظهر والبطن (٤) اجدك منصوب على المصدر به ولا يقال إلا مضافا ومعناه القسم واليمين والمعنى حياتك

(ولرجل من عبس)

إذا الله أسقي دِمنتين ببلدة ٍ　　من الأرض سُقيًا رحمة ٍ فسقاهما [١]

نزلنا بهذي منزلاً ثم منزلاً　　بهذي فطاب المنزلان كلاهما

فبتُ أشيمُ البرقَ مرتفقًا له　　يدًا عن يدٍ حتى وفى منكباهما [٢]

(وقال الشماخ)

رأيتُ سنا برْقٍ فقلت لصاحبي　　بعيدٌ بعلو ما رأيتُ سحيقُ [٣]

فبات مهمًّا لى يذكرنى الهوى　　كأنّى لبرقٍ بالحجاز صديق [٤]

وباتَ فؤادي مُستخفًّا كأنه　　خوافى عقابٍ بالجناح خفوقُ [٥]

فاما النسيب نفسه فقد تقدمت أوصافنا له ومما اختم به القول أن المحسن من الشعراء فيه هو الذى يصف من أحوال ما يجده مايعلم به كل ذى وجد حاضر أو داثر انه يجد أوقد وجد مثله حتى يكون للشاعر فضيلة الشعر

(فمن ذلك قول أبى صخر الهذلى يصف ما أرى أن كل متعلق بمودة يجد)

---

(١) الدمنه : ما ارتفع من الارض . (٢) اشيم البرق : يقال شام البرق نظر اليه اين يقصد ، واين يمطر . مرتفقا له : اى واقفا ثابتا دائم الثبوت لأنظر اليه .
(٣) سنا برق : ضوءه . بعلو : اسم موضع وفي روايه بفلج وهى موضع كذلك بين البصرة وحمى . ما رأيت : ما بمعنى الذى . سحيق : بعيد : وهو واقع توكيد معنوي لبعيد : يقول إن الذى يلمع بعيد . (٤) مهمالى : محزنالي : الحجاز : الارض المعروفة بذلك لانها حجزت بين تهامة ونجد (٥) مستخفا : اسم مفعول استخفه الشيء فهو مستخف اى حمله الجهل والخفة : الخوافى : جمع خافية وهن ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(مثله قوله)

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر[1]

لقد كنت آتيها وفي النفس هجرها ... بتاتاً لأخرى الدهر ماطلع الفجر

فما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت لا عرف لدى ولا نكر

وانسى الذي قد كنت فيه هجرتها ... كما قد تذى لب شاربها الخمر

وفى هذه القصيدة أيضا موجع آخر دال على افراط المحبه مبين عن سجية فى أهل الهوى عامة وهو قوله

ويمنعنى من بعد إنكار ظلمها ... إذا ظلمت يوماً وإن كان لى عذر

مخافة أنى قد عرفت لأن بدا ... لى الهجر منها ما على هجرها صبر

وإنى لا أدرى إذا النفس أشرفت ... على هجرها مايفعلان بى الهجر

(وكما قال الشاعر)

يود بأن يمسى سقيما لعلها ... إذا سمعت عنه بشكوى تراسله[2]

ويهتز للمعروف فى طلب العلى ... لتحمد يوماً عند ليلى شمائله

فهو من أحسن القول فى الغزل وذلك ان هذا الشاعر قد أبان فى البيت الاول عن أعظم وجد وجده محب حيث جعل السقم أيسر مايجد من الشوق فانه اختاره ليكون سبيلا الى ان يشفى بالمراسلة فهو أيسر مايتعلق به الوامق وأدنى فوائد العاشق وأبان فى البيت الثانى عن إعظام منه شديد لهذه المرأة حيث لم يرض

(١) اما والذي الخ . كرر الذي للتفخيم وليس التكرير لتكثير الاقسام لان اليمين يمين واحد بدلالة ان الجواب واحد ولو كانت ايمانا مختلفة لكانت الاجوبة كثيرة . وجواب القسم قوله فى البيت الاتى لقد كنت آتيها . (٢) سقيما : مريضا . شمائله : طبائعه مفرد شمال

لنفسه كونها على سجيتها الاولى حتى احتاج الى ان يتكلف سجايا مكتسبة يتزين بها عندها وهذه غاية المحبة ووصف الشاعر لذلك هو الذى يستجاد لاعتقاده اذ كان الشعر انما هو قول واذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد لانه قد يجوز ان يكون معتقدا لاضعاف ما فى نفس هذا الشاعر من الوجد بحيث لم ينكروه وانما اعتقدوه فقط ولم يدخلوا فى باب من يوصف بالشعر والقول والنسيب قول طريح الثقفى

بانَ الخليطُ وفُرِّقَ الشَّملُ ... وعلى التفرقِ مُابدَّا الوَصلُ [1]

أبكاكَ منهم مافرِحتَ بهِ ... ولكلِّ مولدِ فرحةٍ ثكلُ

(ومن هذه الابيات)

ممسودةٌ خلِقتْ فعليتُها ... خُوطٌ ومعقدُ مرْطِهَا عبلُ [2]

تضعُ البريمَ فيستدير على ... فعِمٍ ألفَّ كأنه رمْلُ [3]

يُسجى إذا ماقلت اخفضهُ ... ويثور منكَشِطًا إذا يعلوا [4]

وقيامها حسنٌ وضحكتها ... عِندَ العجيبِ تبسُّم رتْلُ [5]

وعلاَ بِها عِظمٌ فألحقها ... بنِسائِها ولدَاتِها بَسلُ

(ولابى صخر الهذلى فى التصابى والخلاعة)

أرادَ الشيبُ مِنّى ختلَ نفسى ... لأنسى ذِكرَ ربَّاتِ الحِجالِ [6]

---

(١) بان : تفرق وابتعد . الخليط الشريك (٢) ممسوده مجدولة الخلق . خوط : ناعم رفيع كالغصن . ومعقد مرطها عبل : اي عنقها ضخم . (٣) البريم : خيطان مختلفان أحمر وأبيض تشده المرأه على وسطها وعضدها وقيل حبل للمرأه فيه لونان مزين بالجواهر . الفعم : المرأة التى استوي خلقها وغلظ ساقها فهى فعمه . (٤) يسجى : يغطى . منكشطا : مرتفعا : (٥) رتل : حسن (٦) ختل نفسى : خداعها

إذا اختصم الصبي والشيب عندي ... فأفلجت الشباب فلا أبالي[١]

فقد أتينا من ذكر نعوت الاغراض التي نحتها الشعراء من المعاني وهي المديح والهجاء وغيرها مما عددناه وشرحنا أحواله على ما فيه كفاية لمن له فهم وعنده نظر وفحص وهذه المعاني التي ذكرناها من أغراض الشعراء فانما هي أجزاء من جملة وما تكلمنا به فيها مع ما بيناه فيه من الحال فيه مثالا لغيره واعتبارا في مالم نذكره . فاما ما يعم جميع المعاني الشعرية فأنا نبتدىء بذكره وتعديده

(فمن ذلك صحة التقسيم)

وهي ان يبتدىء الشاعر فيضع أقساما فيستوفيها ولا يغادر قسما منها مثال ذلك قول نصيب يريد ان يأتي باقسام جواب المجيب عن الاستخبار

فقالَ فريقُ القومِ لا وفريقُهم ... نَعم وَفريقٌ قالَ ويحكَ لا أدري

فليس في أقسام الاجابة عن مطلوب اذا سئل عنه غير هذه الاقسام ومثال ذلك أيضا قول الشماخ يصف صلابة سنابك الحمار وشدة وطئه على الارض

متى وقعتْ أرساغهُ مُطمئنةً ... على حجرٍ يرفضُّ أو يتدحرجُ[٢]

فليس في أمر الوطء الشديد الا ان يوجد الذي يوطأ عليه رخوا فيرفض أو صلبا فيدفع ومثال ذلك أيضا قول الاسعر بن حمدان الجعفي يصف فرسا على هيئته من جميع جهاته

أما إذا استقبلتهُ فكأنهُ ... بازٌ يُكفكفُ أن يطيرَ وقد رأى

أما إذا استدبرتهُ فتسوقهُ ... ساقٌ قموصُ الوقعِ عاريةُ النَّسا[٣]

أمَّا إذا استعرضته متمطرًا ... فتقول هذا مثل سرحانِ الغضا[٤]

---

(١) أفلجت الشباب : نصرت الشباب وجعلته ظافرا (٢) متى وقعت . وتروى. ما تقع . ارساغه جمع رسغ ، والرسغ بالضم وبضمتين الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل ويجمع أيضا على ارسغ . مطمئنة : ساكنة . يرفض : يتفرق ويذهب . يتدحرج يتتابع : (٣) عارية النسا . النسا : عرقة من الورك الى الكعب . (٤) السرحان : الذئب . الغضا : الشجر .

فلم يدع هذا الشاعر قسماً من أقسام النصبة التي يرى الفرس عليها الا أتى به وقد يجوز ان يظن ظان في قولنا ان هذا الشاعر قد أتى بجميع الاقسام وكل جسم فله ست جهات فاذا ذكرت حال أربع منها بقيت جهتان لم تذكرا وحل هذا الشك ان وقع من آحدهو ان هذا الشاعر انما وصف فرسا لا جسما مطلقا وللفرس احوال تمتنع بها من ان تنتصب على كل نصبه ومع ذلك فان هذ الشاعر انما وصف الجهات التي يراها الانسان في من الفرس اذا كان على بسيط الارض وكان الرجل قائما او قاعدا إذ كانت هذه الحال التي يرى الناس عليها الخيل في اكثر الامر فاما مثل ان يكون الانسان في عليه فيرى من الفرس اعلاه فقط فما ابعد ما يقع ذلك ولم يقصده الشاعر ولاله وجه في ان يريده اذ كان ليس في ما يعرف ويعهد من النظر الى الخيل الا ما ذكره وهو أن تستقبل او تستدبر او تستعرض من احد الجانبين ومثال هذا الباب ايضا قول زبيد الطائي

يا أسمَ صبراً على ما كان من حدثٍ إنَّ الحوادثَ ملقىً ومُنْتَظَر[1]

فليس في الحوادث الا ان تكون قد لقيت او ينظر لقيها

(ومن انواع المعاني واجناسها ايضا صحة المقابلة)

وهو ان يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة او يشرط شروطا ويعدد احوالا في احد المعنيين فيجب ان يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده وفي ما يخالف بضد ذلك كما قال بعضهم

تَقاصَرْنَ واحلولَيْنَ لي ثمَّ إنه أَتَتْ بعدُ أيامٍ طوالٍ أمرَّتِ

فقابل القصر والحلاوة بالطول والمرارة (ومثله قول الآخر)

وَإذا حديثٌ ساءني لم أكتئبْ وإذا حديثٌ سرَّني لم آشرِ[2]

---

(١) يا أسم : منادي . الحدث : ما يحدث للانسان من أهوال الدهر وأحداثه .
(٢) لم أكتئب : لم أحزن. الاشر : المرح

فقد جعل بازاء سرني ساءني وبازاء الاكتئاب الاشر وهذه المعاني غاية في التقابل

(ولعقيل بن حجاج)

تَشُقُّ في حيثُ لمْ تَبْعُدْ مصعدَةً   وَلم تُصَوِّبْ إلى أدنى مَهاويها

فجعل بازاء قوله تبعد مصعده ادنى مهاويها ولو جعل بازاء الابعاد في الصعود الهوى من غير ان يقول ادنى المهاوى لكانت المقابلة ناقصه لكن كما قال تبعد قال ادنى ولو قال لم تبعد لقنع منه بان يقول تهوى من غير ان يأتى بالدنو

(وللطرماح بن حكيم)

أسرْناهمْ وأنعمنا عليهمْ   وأسقيْنا دِماءَهم التُّرابا

فماصبرُوا البأسِ عندَ حرْبٍ   ولا أدَّوا لُحِسنِ يدٍ ثوابا[1]

فجعل بأزاء ان سقوا دماءهم التراب وقاتلوهم ان يصبروا وبازاء ان انعموا عليهم ان يثيبوا

(ولآخر)

جزَى اللهُ عنَّا ذاتَ بعلٍ تَصدَّقتْ   على عزبٍ حتى يكونَ له أهلُ[2]

فإنّا سنجديها كَما فَعلتْ بنا   إذا ماتزوَّجنْا وليْسَ لها بعلُ

---

(١) لحسن يد : اليد النعمة مجاز مرسل علاقته السببية (٢) البعل الزوج عرب: العزب: محركة من لا أهل له (٣) سنجديها سنكافئها ويروى سنجزيها. ولهذين البيتين قصة طريفة أثبتهاهنا رغم الايجاز في الشرح ، قيل ورداعرابى البصرة فحضر الجامع وسمع المؤذنين يؤذنون فقال ما لهؤلاء يصيحون ولم يك له بالاذان عهد فقال له بعض المجان كل من كان في قلبه شىء وصعد وباح بما فى قلبه اعطى مناه فقال الاعرابى إنى والله صاعد إذا فقال المجاجن لنقيب المؤذنين هذا اعرابى جيد الاذان يريد ان يؤذن فقال ليصعد فصعد وكان جهير الصوت ورفع صوته بهذه الابيات فعدا الناس اليه فطرحوه من المنارة فهلك فسمع بعض نساء البصرة تقول رحم الله ذلك المؤذن اكان اطيب اذانه .

فقد اجاد هذا الشاعر حيث وضع مقابل ان تكون المرأة ذات بعل وقابل حاجته وهو عزب بحاجتها وهى عزبة من غير ان تغادر شرطا ولا ان يزيد شيئا

(ومن انواع المعانى صحة التفسير)

وهو ان يضع الشاعر معانى يريد ان يذكر احوالها فى شعره الذى يصنعه فاذا ذكرها اتى بها من غير ان يخالف معنى ما اتى به منها ولا يزيد او ينقص مثل قول الفرزدق رحمه الله

لَئِنْ جِئْتُ قَوْماً لَو لجأتُ إليهم طريدَ دمٍ أوْ حامِلاً ثقلَ مغرم

فلما كان هذا البيت محتاجا الى تفسير قال

لألفيتُ فيهم مُعْطِياً أوْ مُطاعِناً وراءكَ شزراً بالوشيج المقوَّم

ففسر قوله حاملا ثقل مغرم بقوله أن يلق فيهم من يطاعن دونه ويحمية ومثله قول الحسين بن مطير الاسدى

ولهُ بِلاَ حُزنٍ ولا بمسرَّةٍ ضحكٌ يُراوحُ بينَهُ وبكاءُ[1]

ففسر بلا حزن بكاء ولا بمسرة بضحك (وقال صالح بن جناح اللخمى)

لئِنْ كنتُ محتاجاً إلى الحلمِ إنَّنى إلى الجهلِ فى بعضِ الأحايينِ أحوجُ[2]

(وفسر ذلك بان قال)

ولىَ فرسٌ للعلمِ بالحِلمِ مُلجمٌ ولى فرسٌ للجهلِ بالجهلِ مُسرجُ[3]

فلم يزد المعنى ولا نقص منه ثم فسر البيت الثانى ايضا فقال

فَمنْ رامَ تقويمى فأنّى مُقوّمٌ ومنْ رام تعويجى فأنى معوّج

---

(١) اي انه يضحك بدون ان يحصل له سرور ويبكي من غير ان يحزن (٢) الي الجهل: المراد بالجهل هنا الغضب مثل قول النابغة الجعدي.

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

(٣) ملجم اي انه الحلم لاجمة وما نعه من الوقوع فى المكروه ومسرج: اى ان الجهل لتمكنه فيه كأنه مسرج فيه

(وقال سهل بن مروان)

فواحسرتى حتى متى القلب مُوجَع ... بقصدِ حبيبٍ أو تعذر إفضالِ

(وفسر ذلك فقال)

فِراقُ خليلٍ مثِله يورثُ الأسى ... وخلةُ حرٍّ لايقومُ بها مالى

(ومن انواع نعوت المعانى التتميم)

وهو ان يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الاحوال التى تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئا الا اتى به مثل قول نافع بن خليفة الغنوى

رِجالٌ إذا لم يقبلِ الحق مِنهم ... ويعطوهُ عاذُوا بالسيُوف القواطِع[1]

فما تمت جودة المعنى الا بقوله يعطوه والا كان المعنى منقوص الصحة

(ومثل قول عمير بن الايهم التغلبي)

بِها رِنانا القرائبَ مِنْ سوانا ... وأحرزْنا القرائبَ أنْ تنالاَ

والذى اكمل جودة هذا البيت قوله * واحرزنا القرائب ان تنالا * مع انهم نالوا القرائب من سواهم (ومثله قول طرفه)

فَسقى دِيارَكِ غيرَ مُفسدِها ... صوبُ الربيعِ وديمةٌ تَهمى[2]

فقوله غير مفسدها اتمام لجودة ما قاله لانه لو لم يقل غير مفسدها لعيب كما عيب ذو الرمة فى قوله

ألا يا اسلمى يادارَ مىَّ على البِلى ... ولا زالَ مُنهلاً بجرعائكِ القَطرُ

فأن الذى عابه فى هذا القول اعاد وبأن نسب قوله هذا الى ان فيه افسادا للدار التى دعا لها وهو ان تعرف بكثرة المطر • ومثل قول مضرس بن ربعى

---

(١) عاذوا : التجؤا . والمعنى انهم كانوا ذو شجاعة وبأس لايفرطون فى حقهم سواء كان منهم او عند غيرهم واذا منعوه التجؤا الي السيوف القواطع لتخليصه

(٢) صوب الربيع: انصبابه . الديمة المطر الدائم. تهمى: تسيل. غير مفسدها: تتميم للمعنى واحتراس للديار من التدمير والفساد من كثرة وطول الامطار

والمانعونَ إذا كانتْ ممانعة والعائذون بحسنامْ إذا قدروا

(ومثل قول عبيد الراعى)

لاخيرَ فى طولِ الاقامة للفتى إلا إذا مالمْ يجدْ متحولاً [١]

(ومثل قول كعب بن سعد الغنوى)

حليمٌ إذا ماالحلم زَينَ أهلَه مع الحلمِ فى عين العدوّ مهيب

(ومثل قول الاسود بن يعفر)

ألاَ مَنْ لامنى إلاصديق فلاقى صاحباً كأبى زيادِ

(ومثل قول حسان بن ثابت)

لم تفتهاشمسُ النهار بشىء غير أنَّ الشباب ليس يدومُ

(ومثل قول اعشى باهلة)

لايَصعب الأمر إلاريث يَركبه وكل أمرٍ سوى الفحشاء يأتمرُ [٢]

(ومثل قول النمر بن تولب)

لَقدْأصبحَ البيض الغوانى كأنما يرين إذا ما كنتَ فيهن أحربا [٣]

وكنتُ إذا لاقيتهنّ ببلدةٍ يقلنَ على النكراءِ أهلاً ومرحبا

فقوله على النكراء اتم جودة المعنى والا فلو كانت بينهم معرفة لم ينكر ان يقلن له اهلا ومرحبا

(وقول الآخر)

وهلْ علمتَ بيتنا إلا ولهُ شربةٌ مِنْ غيرهِ وأكلةٌ

---

(١) والمعني لانفع ولا خير ولا سعادة للانسان في حياته الدنيوية مادام على حالة واحد لايتغير عنها بحال فهو والحالة هذه اشبه بالحيوان الاعجم الذي امامه المعيشة واحدة فى كل ايام حياته .(٢) الريث: لا بطاء(٣). البيض الغوانى: النساءالحسان

(ومن انواع نعوت المعانى المبالغة)

وهى أن يذكر الشاعر حالا من الاحوال فى شعر لو وقف عليها الاجزأه ذلك فى الغرض الذى قصده فلا يقف حتى يزيد فى معنى ماذكره من تلك الحال مايكون أبلغ فى ماقصد وذلك مثل قول عمير بن الايهم التغلبي

ونكرمُ جارَنا مادامَ فينا وتتبعهُ الكرامةَ حيثُ سارا

فاكرامهم للجار ماكان فيهم من الاخلاق الجميلة الموصوفة واتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة فى الجميل (ومثل وذلك قول الحكم الخضرى)

وأقبحَ منْ قردٍ وأبخلُ بالقِرَى منَ الكلبِ وهوَ غرثانُ أعجفُ [١]

فقد كان يجزى فى الذم ان يكون هذا المهجو ابخل من الكلب ومن المبالغة فى هجائه قوله وهو غرثان اعجف (ومن هذا الجنس لدريد بن الصمة)

متي ماتدعْ قومكَ اذعُ قومى فيأتى منْ بنى جشمٍ فئامُ [٢]

فوارسُ بُهْمَةٍ حُشُداً إذا ما بدا حضرُ الحيية والحذامُ [٣]

والمبالغة الشديدة فى هذا الشعر هى فى قوله الحييه (ومنه للحكم الخضرى ايضا)

فكنْ ياجارَهم فى خيرِ دارٍ فلا ظلمَ عليكَ ولا جفاءُ

فقوله فلا ظلم عليك ولا جفاء توكيد ومبالغة (ومنه قول رواش بن تميم احد الغطاريف الازدى)

وإنا لنعطى النَّصفَ منَّا وأننا لنأخذهُ منْ كلِّ أبلخَ ظالمِ [٤]

---

(١) القري : الطعام . الغرثان : الجائع . الأعجف : النحيف الذي ذهب سمنه
(٢) الفئام : ككتاب : الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه (٣) البهمة : الجيش
(٤) النصف : الحق كاملا . الأبلخ المتكبر.

فهذه مبالغات مضاعفة مكررة (ومنه قول مضرس)

بهمْ تمترى الحربُ العوانُ وفيهم تؤدّى القروضُ حلوُها ومريرُها[١]

فقوله ومريرها مبالغة (وكذلك قول اوس بن غلفاء الهجيمى)

همُ تركوكَ أسلحَ من حبارَى رأتْ صقراً وأشردَ من نَعام

ففى قوله رأت صقرا مبالغة

(ومن نعوت المعانى التكافؤ)

وهو ان يصف الشاعر شيئا او يذمه ويتكلم فيه اى معنى كان فيأتى بمعنيين متكافئين والذى اريد بقولى متكافئين فى هذا الموضع اى متقاومين اما من جهة المصادرة او السلب والايجاب او غيرهما من اقسام التقابل مثل قول ابى الشعب العبسى

حلوُ الشمائلِ وهو مرٌّ باسلٌ يحمى الذمارَ صبيحةَ الأرهان[٢]

فقوله مر وحلو تكافؤ (ومثل قول ام الضحاك المحاربية)

وكيفَ يساوِى خالداً أوْ ينالهُ خميصٌ من التقوى بطينٌ من الخمرِ[٣]

فقوله خميص وبطين تكافؤ (ومثل قول طرفه)

بطيءٌ إلى الجلّي سريعٌ إلى الخنا ذلولٌ بإجماعِ الرجالِ الملهَّدِ[٤]

فقوله سريع وبطىء تكافؤ (ومثل قول زهير)

حلماءُ فى النادِى إذا ماجئتهمُ جهلاءُ يومَ عجاجةٍ ولِقاءِ

---

(١) تمترى الحرب: يشتد وطيسها. الحبارى: طائر للذكر والانثى والواحد والجمع.
(٢) الشمائل: جمع مفرده شمال والشمال : الطبع. الذمار : مايلزمك حفظه وحمايته
(٣) الخميص: الضامر البطن والمراد به هنا أنه خالص من التقوى. بطين من الخمر : أى كثير الشرب لها. (٤) الجلى : الشىء العظيم . الخنا: الفحش

فقوله حلماء وجهلاء تكافؤ (ومثل قول حميد بن ثور)

فلم أرَ محزوناً له مِثلَ صوتِها ... ولا عربياً شاقَهُ صوتُ أعجما

فقوله عربى واعجم تكافؤ (ومثل قول الآخر)

بطاءٌ عنِ الفحشاءِ لايحضرونَها ... سراعٍ الى داعى الصَّباحِ المثوِّبِ [١]

(ومثل قول عباس بن مرداس)

مطهّماً خلقه شمَّا سنابكُهُ ... صعلاً على أنّ فى الجنبينِ أجفارا [٢]

فجعل صعلا مكافئا لاجفار (ومثل قول الفرزدق)

فتى السّنِّ كهلُ العلمِ قد عرَفتْ له ... قبائلُ مابين الدنى وابادِى [٣]

فقوله فتى مكافاة القول كهل (وقال الفرزدق ايضا)

لَعمرِى لئن قلَّ الحصى فى رجالِكمْ ... بَنى نهشلٍ مالؤمُكمْ بقليلُ [٤]

فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب . واستجاد الناس قول دعبل حين روى انه قال

لاتعجبى ياسلمَ منْ رجلٍ ... ضحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكَي [٥]

لان ضحك وبكى مكافأة وقد اتى المحدثون من التكافؤ باشياء كثيرة وذلك انه بطباع اهل التحصيل والروية فى الشعر والتطلب لتجنيسه اولى منه بطباع القائلين على الهاجس بحسب مايسنح من الخاطر مثل الاعراب ومن جرى مجراهم على ان اولئك بطباعهم قد اتوا بكثير منه وقد قدمنا بعضه وما للمحدثين فى ذلك مثل قول بشار

(١) بطاء عن الفحشاء: قليل الاسراع اليها .داعى الصباح : المؤذن للفجر . المثوب: الداعي الى الصلاة والقائل ، فى أذان الفجر الصلاة خير من النوم مرتين عودا على بدء . (٢) المطهم : كمعظم السمين الفاحش السمن . السنبك ضرب من العدو وطرف الحافر . الصعل : الطويل وقيل الدقيق الرأس والعنق . الجفر: ماعظم واستكرش يجمع على أجفار (٣ فتى السن : صغير السن. كهل العلم : قديم فيه . الدني وإبادا :اسما لموضعين تقطن بينهما تلك القبائل . (٤) الحصى: العدد . (٥) ضحك المشيب : اي اشتد بياض لحيته .

إذا أيقظتك حروب العدى ... فنبه لها عمراً ثم نم

فنبه ونم تكافؤ وله أثر فى تجويد الشعر قوى فانه لو قال مثلا فجرد لها عمرا لم يكن لهذه اللفظة مالنبه من الموضوع مع نم

(ومن نعوت المعانى الالتفات)

وهو ان يكون الشاعر آخذا فى معنى فكأنه يعترضه اما شك فيه او ظن بان رادا يرد عليه قوله او سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا الى ما قدمه فاما ان يذكر سببه او يحل الشك فيه مثال ذلك قول المعطل فى بنى رهم من هذيل

تبين صلاةُ الحرب منَّا ومنهمُ ... إذا ما التقينا والمسالم بادِنُ [١]

فقوله والمسالم بادن رجوع عن المعنى الذى قدمه حين بين ان علامة صلاة الحرب ان المسالم يكون بادنا والمحارب ضامرا (وقول الرماح ابن ميادة)

فلا صَرْمُهُ يَبدُو وفى اليأس راحةٌ ... ولا وصلُه يَبدُو لنا فنُكارِمُه [٢]

فكأنه يقول وفى اليأس راحة التفت الى المعنى لتقدير ان معارضا يقول له ما تصنع بصرمه فقال لان فى اليأس راحة (ومن هذا الجنس قول عبدالله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر)

أَجمِلْ إذا ما كنتَ لابدَّ مانعاً ... وقد يمنعُ الشىءَ الفتى وهو مُجمِلُ [٣]

(ومنه قول امرء القيس)

ياهلْ أتاكَ وقدْ يحدثُ ذو الودِّ القديمِ متمةَ الذَّحلِ [٤]

فكأنه لما قال اتاك وكان المعنى مسراعين مظهر توهم ان المخاطب يقول له

---

(١) البادن : السمين . (٢) صرمه : الصرم : القطع (٣) أجمل : أحسن وتلطف فى المنع (٤) الذحل : الثأر أو طلب مكافأة بجناية عليك .

كيف يبلغني فقــال له وقد يحدث ذو الود القديم متمة الدخل (وقول طرفة)

وتكفُّ عنكَ مَخيلَةَ الرجلِ العرِّيض موضحة عنِ العظْم [١]

بحُسامِ سيفِكَ أو لِسانِك والكَلمُ الأصيلُ كأرعبِ الكَلْم [٢]

فكأنه لما بلغ بعد حسامك الى لسانك قدر ان معترضا يعترضه فيقول كيف يكون مجرى السيف واللسان واحدا فقال والكلم الاصيل كاشد الجراح واكثرها اتساعا

(ومنه قول جدير بن ربعان)

مَعازيلُ فى الهيجاءِ ليْسوا بزادةٍ مجازيعُ عِندَ اليأسِ والحرُّ يَصبر [٣]

ففى قوله والحر يصبر التفات الى اول كلامه وقد يضع الناس فى باب اوصاف المعانى الاستغراب والطرفه ان يكون المعنى مما لم يسبق اليه وليس عندى ان هذا داخل فى الاوصاف لان المعنى المستجاد اذا كان فى ذاته جيدا فاما ان يقال له جيدا اذا قاله شاعر من غير ان يكون تقدمه من قال مثله فهذا غير مستقيم بل يقال لما جرى هذا المجرى طريف وغريب اذا كان فردا قليلا فاذا كثر لم يسم بذلك وغريب وطريف هما شيء آخر غير حسن او جيد لانه قد يجوز ان يكون حسن جيد غير غريب ولا طريف فثل تشبيههم الدروع بحباب الماء الذى تسوقه الرياح فانه ليس جودة هذا التشبيه تعاور الشعراء اياه قديما او حديثا واما طريف وغريب لم يسبق اليه وهو قبيح بارد فملء الدنيا مثل اشعار قوم من المحدثين سبقوا الى البرد فيها والذى عندى فى هذا الباب ان الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدىء بالمعنى الذى لم يسبق اليه لا الى الشعر اذ كانت المعانى مما لا يجعل القبيح منها حسنا لسبق السابق الى استخراجها كما لا يجعل الحسن

---

(١) تكف : ترد وتمنع ويروى تصد . العريض : كسكيت الذي يتعرض للناس بالشر (٢) الحسام : السيف القاطع . (٣) معاذيل : جمع مفرده معزال وهو من لا رمح معه. الهيجاء : الحرب

قبيحا للغفلة عن الابتداء واحسب انه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر فلم يكادوا يفرقون بينهما واذا تأملوا هذا الامر نعما علموا أن الشاعر موصوف بالسبق الى المعانى واستخراج مالم يتقدمه احدالى استخراجه لا الشعر ولنتبع بذكر المعانى وهو القسم الرابع من اقسام الشعر المفردات ذكر الاربعة المركبات التى قدمنا القول فيها فى اول الكتاب ولنبدأ بأولها وهو

(نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى)

من انواع ائتلاف اللفظ مع المعنى (المساواة)وهو ان يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لايزيد عليه ولا ينقص عنه وهذه هى البلاغة التى وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أى هى مساوية لها لايفضل احدهما على الآخر (وذلك مثل قول امرى القيس)

فإنْ تكتُموا الداءَ لانخفِهِ ... وإنْ تبعثوا الحربَ لانقْعُدِ [1]

وإن تقتلونا نقتّلكم ... وإنْ تقصدوا الدّمَ لانقصدِ [2]

(ومثل قول زهير)

ومهما يكنْ عندَ امرِئٍ من خليقةٍ ... وإنْ خالها تخفى على النّاسِ تُعلَمِ [3]

(ومثل قوله)

اذا أنتَ لم ترحلْ عن الجهلِ والخنا ... أصبتَ حليماً أوْ أصابكَ جاهلُ [4]

---

(١) لانخفه : لاتظهره : يعنى إذا دفنتم ما بيننا من فتن وأحن لانثيرها نحن . وإن ثبعثوا الحرب لانقعد ويروى لانقعد : والمعنى أنكم إذا ثرتم الحرب ثرنا بها ولا نقعد (٢) وان تقصدوا الخ أي أردتم حقن الدماء لانخالفكم في ذلك (٣) الخليقة : الطبيعة . والمعنى أن من كتم خليقته على الناس وظن أنها تخفى عليهم فلابد أن تظهر (٤) ترحل : تترك . الخنا : الفحش .

(ومثل قوله)

سَعَى بعدَهم قومٌ لكى يُدْركوهم — فلم يدركوا ما أدركوهُ ولم يألوا [١]

(ومثل قول طرفه)

لَعَمرُكَ أنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى — لَكالطولِ المرخى وثنياهُ باليدِ [٢]

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً — ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تزوّدِ [٣]

(ومثله قول خالد بن زهير بن اخى ابى ذويب الهذلى)

فلا تجزعَنْ من سنّةٍ أنتَ سرتَها — فأوّلُ راضٍ سنّةً من يسيرُها [٤]

(ومثل قول ليلى الاخلية)

فلا يُبعدنْكَ اللهُ ياتوبُ إنما — لقاءُ المنايا دارعاً مثلَ حاسرِ

(ومن انواع ائتلاف اللفظ والمعنى الاشارة)

وهو ان يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بايماء اليها او لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال هى لمحة دالة (ومثل ذلك قول امرىء القيس)

فإنْ تَهلكْ شَنوءةُ أو تَبدَّلْ — فسيرى أنَّ فى غسّانَ خالا

لِعزِّهم عَزَزتُ وإن يَذِلّوا — فذلُّهم أنالكَ ما أنالا [٥]

---

(١) سعى بعدهم قوم الخ أى تقدم هؤلاء فى المجد والشرف وعلو المنزلة وسعى على آثارهم قوم آخرون لكى يدركوهم فلم يمكنهم (٢) لعمرك : بفتح العين أقسم بحياتك ان الموت لا يخطىء الفتى وعبر بالماضي لتحقق وقوعه . الطول : الحبل . ثنياه : طرفاه . والمعني ان الانسان لا يفلت من الموت كما أن الدابة لا تفلت ما دام صاحبها آخذا بطرفي طولها . (٣) ستبدي : ستظهر . والمعنى ستطلعك الايام على ما لم تسمع من قبل وسينقل اليك من الاخبار ممن لم تسأله عنها . (٤) سنة : طريقة وعمل . (٥) يقول انى عزيز بهؤلاء الملوك لانى من سلالتهم .

فبينة هذا الشعر على ان ألفاظه مع قصرها قد اشير بها الى معان طوال فمن ذلك قوله تهلك او تبدل ومنه قوله ان فى غسان خالا ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله انالك ما انالا (ومثل قول طرفة)

مَوضوعُها زولٌ ومَرفوعها مرعابُ لجب وَسط الرّيح

فقوله زول مشاربه الى معان كثرة وهو شبيه بما يقول الناس فى اجمال نعت الشيء واختصاره عجب (وقال آخر)

هاجَ ذا القلب من تذكُر جَمل ما يُهيجُ المتيَّم المحزُونا

فقد اشار هذا الشاعر بقوله ما يهيج المتيم المحزونا الى معان كثيرة (ومثل قول امرىء القيس)

على هَيكل يُعطيكَ قبلَ سؤاله أفانينَ جَرْى غيرَ كزٍّ ولاَ وانِى [1]

فقد جمع بقوله أفانين جرى على ما لوعد لكان كثيرا وضم الى ذلك ايضا جميع اوصاف الجودة فى هذا الفرس وهو قوله قبل سؤاله اى يذهب فى هذه الافانين طوعا من غير حث وفى قوله كزولا وانى ينفى عنه ان يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة والونى من قبل الاسترخاء والفترة (ومثله قوله ايضا يصف ذئبا)

فَظلَّ كَمثلِ الخشف يَرفعُ رأسهُ وسائرُه مِثلَ التراب المدقّق [2]

وجاءَ خفِيًّا يسفِنُ الأرضَ بطنهُ ترى التربَ منه لازقا كلَّ مُلزَقِ [3]

فى هذا الشعر اجمال للمعانى كثير واوكد ما فيه من ذلك قوله كل ملزق

---

(١) على هيكل : فرس طويل جميل ذو روعة عظيم . أفانين : ضروب . غير كز : ليس بالمنقبض . ولا وان : غير فاتر : (٢) الخشف . مثلثة ولد الظبي أول ما يولد أو أول يشبه . مثل التراب : للصوقه بالأرض (٣) يسفن : الأرض كانما يقشر الارض بطنه لازقا كل ملزق : ويروى لاصقا كل ملصق .

(ومثل قول زهير)

فَإِنَّ لوْ لَقِيْتُكَ واتجهْنَا   لَكانَ لِكلِّ مُنْكَرَةٍ كِفاءُ [١]

(ومثل قول اوس بن حجر)

فإنْ يَهْوَ أقوامٌ رِدائِى فإنَّنى   بَقَينى الإلهُ ماوقَي ورِدَائِيا

(ومثل قول قتادة بن طارق الازدى)

أهاجكَ ربعٌ قد تحمَّل حاضره   وأوحش بعد الحىِّ منه مناظِره

يقول ماتنظر الى موضع منه الاذكرت فيه من الانس ممن كان يحله ما قد او حش فى هذا الوقت بخلوه منه

(وللعامرية)

كَيفَ الفَخارُ وقدْصارُ والِذَسوَتِكم   يوَمَ الفَخارِ بَنُوا ذُبْيانَ أرْبابا

إذْ جرَّ ناصِيتِى حصنٌ وأعتقَنى   وذاكَ شيْبٌ مِنى اليومَ ماشابا

(ولامرىء القيس)

فَظلَّ لنا يَومٌ لذيذٌ بنِعْمةٍ   فَقِلْ فى مقيلٍ نحسُهُ متغيِّبُ

(ولامرأة من عكل)

يا ابنَ الدَّعِىِّ إنها عكلٌ فقِفْ   لِتعلَمَنَّ اليومَ إنْ لَمْ تنصرِفْ [٢]

إنَّ الكرِيمَ واللئيمَ يختلِفْ

(ومن انواع ائتلاف اللفظ والمعنى الارداف)

وهو ان يريد الشاعر دلالة على معنى من المعانى فلا يأتى باللفظ الدال على

---

(١) منكره: خبيثه ويروى مندبه: وهى الداهية التى تندى صاحبها عرقا لشدتها. كفاء: اى شىء يكافئه ويروى القاء. اي شىء يتلاقى به حتى يصلح الله أمرهما.

(٢) العكل: بالكسر والضم اللئيم وجمعه اعكال

ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له فاذا دل على التابع ابان عن المتبوع بمنزله قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس فهاشم ١

وانما اراد الشاعر ان يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظ الخاص به بل اتى بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بعد مهوى القرط (ومثله قول امرىء القيس)

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل ٢

وانما اراد امرؤ القيس ان يذكر ترفه هذه المرأة وان لها من يكفيها فقال نؤوم الضحى وان فتيت المسك يبقى الى الضحى فوق فراشها وكذلك سائر البيت اى هى لاتنطق لتخدم ولكنها فى بيتها متفضلة ومعنى عن فى هذا البيت معنى بعد (كذلك قوله)

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل ٣

فانما اراد ان يصف هذا الفرس بالسرعة وانه جواد فلم يتكلم باللفظ بعينه ولكن بارادفه ولواحقه التابعة له وذلك ان سرعة احضار الفرس يتبعها ان

---

(١) بعيدة مهوى القرط : طويلة العنق وهذا من الصفات الجميلة في المرأة

(٢) يضحي فتيت المسك: ويروى تضحي بالمثناه الفوقية وعلى الروايتين فأضحي تامة لان المعني أنها تكون وقت الضحى كذلك وفتيت مبتدا وخبره فوق والجملة حالية وحذفت منها الواو الرابطة لانهم يستحسنون حذفها من الجملة الاسميه والفتيت :ما تفتت من المسك عن جلدها . نؤم الضحى : التى تنام في وقت الضحى لان لها من الخدم والحشم ما يكفيها ويقوم بلوازم بيتها . لم تنتطق : لم تجعل فى وسطها نطاقا:

(٣) اغتدي : غدا يغدوا واغتدى اغتداء واحد . وكناتها : الوكنات جمع وكنه بضم فسكون وهما عش الطائر وروى فى وكراتها بضمتين جمع وكر بضم فسكون وهو جمع وكر فسكون والوكر مأوى الطائر فى العش . بمنجرد : المنجرد : الماضي فى السير وقيل هو القليل الشعر . الأوابد :الوحوش النافرة وقيد الأوابد : مبالغة في سرعة العدو : الهيكل : الضخم من كل شيء ويوصف به الفرس الطويل.

تكون الاوابد وهى الوحوش كالمقيدة له اذا نحا فى طلبها والناس يستجيدون لامرىء القيس هذه اللفظة فيقولون هو اول من قيد الاوابد وإنما عنى بها الدلالة على جوده الفرس وسرعة حضره فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الاستجادة ماجاء من اتيانه بالردف له وفى هذا برهان على ان وضعنا الارداف من اوصاف الشعر و نعوته واقع بالصواب (ومنه قول ليلى الاخيلية)

ومخرق عنه القميص تخالُهُ بينَ البُيوتِ منَ الحياءِ سَقيما

فانما ارادت وصفه بالجود والكرم فجاءت بالارداف والتوابع لهما أما ما يتبع الجود فان مخرق قميص هند المنعوت فسر ان العفاة تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم اياه واما يتبع الكرم فالحياء الشديد الذى كأنه من إماتة نفس هذا الموصوف وازالته عنه الاشر يخال سقيما (ومنه ايضا قول الحكم الخضرى)

قدْ كانَ يُعجبُ بعضهُنَّ براعَتى حتى سَمِعنَ تَنَحنُحي وسُعالى

فأراد وصف الكبر باللفظ بعينه ولكنه اتى بتوابعه وهى السعال والتنحنح ومن هذا النوع ما يدخل فى الابيات التى يسمونها ابيات المعانى وذلك اذا ذكر الردف وحده وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر او كانت بينه وبينه ارداف اخر كأنها وسائط وكثرت حتى لايظهر الشيء المطلوب بسرعة اذا غمض ولم يكره داخلا فى جملة ماينسب الى جيد الشعر اذ كان من عيوب الشعر الانغلاق وتعذر العلم بمعناه

(ومن نعوت أئتلاف اللفظ والمعنى التمثيل)

وهو ان يريد الشاعر اشارة الى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما اراد ان يشير اليه (مثال ذلك قول الرماح ابن ميادة)

ألم تكُ فى يُمنى يدَيك جعلتنى ... فلا تجعلني بعدَها فى شمالكا
ولو أنني أذنبت ما كنت هالكا ... على خصلة من صالحات مهالكا

فعدل عن ان يقول فى البيت الاول انه كان عنده مقدما فلا يؤخره او مقربا فلا يبعده او مجتبي فلا يجتنبه الى ان قال انه كان فى يمنى يديه فلا يجعله فى اليسرى ذهابا نحو الامر الذى قصد الاشارة اليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له والابداع فى المقابلة وعلى ذلك قول عمير بن الايهم

راح القطينُ من الأوطانِ أو بكَروا ... وصدّقوا من نهارِ الأمسِ ماذكَروا[1]
قالوا لنا وعرَفنا بعْدَ بينِهِم ... قوْلاً فما وردُوا عنه وما صدَروا[2]

فكان يستغنى عن قوله فما وردوا عنه ولا صدروا بان يقول فما تعدوه او فما يقول فما تعدوه او فما تجاوزوه ولكن لم يكن له من موقع الايضاح وغرابة المثل مالقوله فما وردوا عنه ولاصدروا (ومن هذا قول بعض بنى كلاب)

دعْ الشرّ واحللْ بالنَّجاةِ تعزُّلاً ... إذ هو لم يَصبغْكَ فى الشرّ صابغ[3]
ولكنْ إذا ما الشرُّ ثارَ دفينه ... عليكَ فانضحْ منه ما أنتَ دابغ[4]

فاكثر اللفظ والمعنى فى هذين البيتين جار على سبيل التمثل وقد كان يجوز ان يقال مكان ما قيل فيه دع الشر مالم تنشب فيه فاذا نشبت فيه فبالغ ولكن لم يكن لذلك من الحظ فى الكلام الشعرى والتمثيل الظريف ما لقول الكلابى

(ومن هذا قول الآخر)

تركتُ الرِّكابَ لأربابها ... وأكرهتُ نفسى على ابنِ الصَّعِق

(١) القطين : الاماء والحشم المماليك والخدم والاتباع وأهل الدار للواحد والجمع وقيل يجمع على قطن . ماذكروا : من العزم على الرحيل (٢) بينهم : البين : الفرقة والفصل بين الأرضين . (٣) تعزلا : تنحتيا علي جنب (٤) الدفين بالكسر ماظهر بعد خفاء ففشا فنشأ منه شرا

جعلت يَدَيَّ وشاحاً له فأجزأ ذاكَ عن المعتنقْ

قوله جعلت يدى وشاحا اشارة بعيدة بغير لفظ الاعتناق وهى دالة عليه

(ومنه قول يزيد بن مالك الغامدى)

فإن أسمعوا اصْبحا: زأرا فلمْ يكن شبيهاً بزأر الأسد ضبح الثعالب

فقد اشار الى قوتهم وضعف اعدائهم اشارة مستغربة لها من الموقع بالتمثل ما لم يكن لو ذكر الشيء المشار اليه بلفظ (ومثل ذلك قول عبدالرحمن بن على ابن علقمة بن عبدة)

أوردتهم وصدورُ العيس مُسْنِفةٌ والصبحُ بالكوكب الدُّرِّيِّ مَنْحورُ [1]

فقد اشار الى الفجر اشارة ظريفة بغير لفظه (وكذلك قول المعين المنقرى يصف ناره)

رأى أُم نيران عواناً تكفُّها بأعرافها هُوجُ الرياح الطرائدِ [2]

فقد أومأ بقوله ام نيران الى قدمها وعوانا الى كثرة عادته لايقادها ايماء غريبا ظريفا وان كانت العرب تذكر ذلك فى النار كثيرا (وقال بعض الاعراب)

فى صدمَتِه الكأسُ حتى كأنما به فالجٌ من دائها فهو يرعش

فالكأس لاتصدم ولكنه اشار بهذا التمثل اشارة حسنة الى سكره

(وقال عباس بن مرداس)

كانوا إمَامَ المسلمينَ دريئةً والبيضُ يومئذٍ عليهم أشمسُ

يريد ان البيض عليهم قد صارت شموسا وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس وهما داخلان فى باب ائتلاف اللفظ والمعنى ومعناهما ان تكون

---

(١) العيس : بالكسر الابل البيض يخالط بياضها شقرة مسنفة : بفتح النون خاص بالبعير يقال أسنف البعير قدم عنقه للسير (٢) هوج الرياح : الهوجاء الريح التى تقلع البيوت والجمع هوج وقال ابن الاعرابى هى الشديدة الهبوب من جميع الرياح

فى الشعر معان متغايرة قد اشتركت فى لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة فأما المطابق فهو ما يشترك فى لفظة واحدة بعينها مثل قول زياد الاعجم

ونبّئتهم يستنصرون بكاهلٍ والُّلؤم فيها كاهلٌ وسنام

(وقال الافوه الازدى)

وَاقطع الهوجَل مستأنِساً بهوجَل عيدَانةٍ عَنتريس [١]

فلفظة الهوجل فى هذا الشعر واحدة قد اشتركت فى معنيين لأن الاول يعنى الارض والثانى الناقة (وكذلك قول ابى دؤاد الايادى)

عَهدت لها مَنزلاً داثراً وإلا على الماء يحملنَ إلاً

فالا الاولى فى المعنى غير الثانى لان الاول اعمدة الخيام والثانى من السراب وأما المجانس فأن تكون المعانى اشتراكها فى الفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق مثل قول زهير

كأنَّ عينيَّ وقدسالَ السليلُ بهم وَجيرة ماؤهمُ لوْ أنَّهمُ أُمَم [٢]

(ومثل قول العوام فى يوم العظالى)

وفَاضَ أسيرَاها به وكأنَّما مَفَارق مَفرُوق تغشَّين عندَما

(ومثل قول حيان بن ربيعة الطائى)

لقَدْ عَلِم القبَائِلُ أنَّ قومِى لهم حد إذا لَبِسَ الحَديدُ

(ومثل قول الفرزدق)

جَفَاف أجفَّ اللهُ منهُ سَحَابه وأوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَصاحبٍ [٣]

---

(١) العنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . (٢) السليل : واد بعينه . وجيرة الخ ويروى ووعبرة ماهم لو أنهم هم والمعني على هذه الروايه هم سبب بكائي وعبرتي وماهنا زائده. الأمم :القصد والقرب. وجواب لو محذوف (٣) ساف: مذر ، يقال : سفت الريح التراب تسفيه ذرته

(ومثل قول الكميت)

فقل لجذام قدجذمتم وسيله ... إلينا كمختار الرداف على الرحل[1]

(ومثل قول مسكين الدرامى)

واقطع الخرق بالخرقاء لاهية ... إذا الكواكب كانت فى السما سرجا

(وكما قال النعمان بن بشير لمعاوية بن أبى سفيان)

ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا ... وليلك عما ناب قومك نائم

(وقال ذو الرمة)

كأن البرى والعاج عيجت متونه ... على عشر نهى به السيل أبطح[2]

(وقال رجل من بنى عبس)

إن ذل جاركم بالكره حالفكم ... وإن أنفكم لا يعرف الأنفا

(وقال المرار)

واعطفنى أن أرى زائرا ... واختلف الحي قوما خلوفا

(نعت ائتلاف اللفظ والوزن)

وهو ان تكون الاسماء والافعال فى الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الامر فى الوزن الى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها وان تكون أوضاع الاسماء والافعال والمؤلفة منها وهى الاقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تأخير مايجب تقديمه ولا الى تقديم ما يجب تأخيره منها ولا اضطر ايضا الى اضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها بل يكون الموصوف مقدما والصفة مقولة عليها وغير ذلك مما لو ذهبنا الى شرحه لاحتجنا الى إثبات كثير من صناعتى المنطق والنحو فى هذا الكتاب فكان يصعب النظر فيه على أكثر الناس ولكن فى ما أجملته فى هذا القول واشرت اليه

---

(١) الرداف كالكتاب الموضع يركبه الرديف . (٢) البرى : التراب .

من التنبيه على الطريق التي يعرف بها جودة هـذا الباب ماكفى وأغنى عند ذوى القرائح السليمة ومن قد تعلق ببعض الآداب السهلة ومن هذا الباب ايضـا ان لايكون الوزن قـد اضطر الى ادخال معنى ليس الغرض فى الشعر محتاجا اليه حتى إذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه أو أسقاط معنى لايتم الغرض المقصود الابه حتى ان فقده قـد أثر فى الشعر تأثيرا بان موقعه .ولم آت فى هذا الباب بأمثلة لأن كل شعر سليم ممـا ذكرت مثال لذلك فأما الاشعار التى تسلم منه فانا اذكرها فى باب عيوب الشعر ان شاء الله تعالى

(نعت ائتلاف المعنى والوزن)

هو ان تكون المعانى تامة مستوفاة لم تضطر باقامة الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه وان تكون المعانى أيضا مواجهة للغرض لم تمتنع عن ذلك وتعدل عنه من أجل اقامة الوزن والطلب لصحته والسبب فى تركنا ان نأتى لهذا الجنس بامثلة الشعر هو السبب فى تركنا ذلك فى باب ائتلاف اللفظ مع الوزن ونحن نذكر مايجب ذكره من امثلة عيوب هذا الباب فى جملة ماسنذكره من عيوب الشعر ان شاء الله تعالى

(نعت ائتلاف القافية)

هو مع مايدل عليه سائر البيت أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مر فيه فن انواع ائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر معنى البيت

(التوشيح)

وهو ان يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى أن الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها اذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته (مثال ذلك قول الراعى

وأنْ وزِنَ الحصَى فوزنت قَوْمى   وَجدْتُ حَصَى ضريبتهمْ رَزِينَا

فاذا سمع الانسان أول هذا البيت استخرج منها لفظة قافيته لانه يعلم ان قوله

وزن الحصى سيأتي بعده رزين لعلتين أحدهما ان قافية القصيدة توجبه والاخرى ان نظام المعنى يقتضيه لان الذي يفاخره برجاحة الحصى يلزمه أن يقول فى حصاه أنه رزين (وقول عباس بن مرداس)

هم سودُوا هجناً وكُل قبيلَةٍ يبين عن أحسابِهَا من يَسُودها

فمن تأمل هذا البيت وحد أوله يشهد بقافيته (وقول نصيب)

فَقَدْ أيقَنتُ أنَ ستزولَ ليلَى وتُحجَبَ عَنكَ إن نَفعَ اليقين

(وقول مضرس بن ربعى)

تمنَّيتُ أنْ ألقي سايما و مالكاً على سَاعَةٍ تُنسى الحليم الأمانيا

ومن أنواع ائتلاف القافية مع سائر معنى البيت

الايغال: وهو ان يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاما من غير ان يكون للقافية فى ما ذكره صنع ثم يأتى بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها فى تجويد ماذكره من المعنى فى البيت كما قال أمرؤ القيس

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خبائنَا وأرحلنَا الجزْعُ الذى لم يُثقب [١]

فقد أتى أمرؤ القيس على التشبيه كاملا قبل القافية وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ثم لما جاء بالقافية أوغل بها فى الوصف ووكده وهو قوله الذى لم يثقب فان عيون الوحش غير منقبة وهى بالجزع الذى لم يثقب أدخل فى التشبيه (وقال زهير)

كأنَّ فتَاتَ العِهنِ فى كُلِّ منزِلٍ نزَلتْ به حبُّ الفنَا لم يُحطَّمِ [٢]

فالعهن هو الصوف الاحمر والفناحب تنبته الارض أحمر فقد أتى على الوصف

(١) الجزع. بكسر الجيم وفتحها الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض قد شبهت به العيون. (٢) الفتاه: ماتفتت من الشيء. لم يحطم: المراد به أنه إذا كسر ظهر له لون غير الحمرة.

قبل القافية لكن حب الفنا اذا كسر كان مكسره غير احمر فاستظهر فى القافية لما ان جاء بها بان قال لم يحطم فكأنه وكد التشبيه بأيغاله فى المعنى

(ومثله)

إِذَا مَا جرى شأوين وابتل عطفهُ　　تقول هزيز الريح مرت بأثاب [١]

فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية لأنه يكفى ان يشبه خفيف جرى الفرس بالريح فلما أتى بالقافيه اوغل ايغالا زاد به فى المعنى وذلك ان الاثاب شجر للريح فى اغصانه خفيف شديد . ومما يدل على ان المعانى قد كانت فى نفوس الناس قديما ان ابا العباس محمد بن يزيد النحوى قال حدثنى الثورى قال قلت للاصمعى من اشعر الناس فقال من يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا او الى الكبير فيجعله بلفظه خسيسا او ينقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها افاد بها معنى قال قلت نحو من قال نحو ذى الرمة حيث يقول

قِفِ العيسَ فِى أطلال مية فاسألِ　　رسومًا كأخلاقِ الرداء المسلسلِ [٢]

فتم كلامه قبل المسلسل ثم قال المسلسل فزاد شيئا ثم قال

أظن الَّذِى يجدى عليك سؤالها　　دموعًا كتبديد الجمان المفصلِ [٣]

فتم كلامهم ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزاد شيئا قال قلت ونحو من قال الاعشى حيث قال

كناطحٍ صخرةً يومًا ليفلقها　　فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ [٤]

فتم مثله الى قوله قرنه ثم احتاج الى القافيه فقال الوعل مفضلا على كل ما ينطح

---

(١) الشأو : الأمد والمسافة . هزيز الريح : صوته ودويه . (٢) العيس: بالكسر الابل البيض يخالط بياضها شقرة . (٣) الجمان : اللؤلؤ . أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة الواحدة جمانه (٤) ليفلقها : ويروى ليوهنها . يضرها يقال ضاره الامر يضوره ويضيره ضيره . الوعل : تيس الجبل جمعه أوعال ووعول .

قال كيف قال لانه ينحت من قلة الجبل على قرنه فلا يضره

(الفصل الثالث)

واذ قد اتيت على ماظننت انه نعت للشعر وعددت اجناس ذلك وفصلت انواعه فالآن أحب ان ابتدىء بذكر عيوب الشعر واذكر اجناس ذلك على الترتيب الذى رتبت النعوت عليه وبحسب تلك السياقة

(عيوب اللفظ)

ان يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الاعراب واللغة وقد تقدم من استقصى هذا الباب وهم واضعوا صناعة النحو وان يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ولا يتكلم به الاشاذا وذلك هو الحوشى الذى مدح عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته له وتنكبه اياه فقال كان لا يتبع حوشى الكلام وهذا الباب مجوز للقدماء ليس من اجل انه حسن لكن من شعرائهم من كان اعرابيا قد غلبت عليه العجرفة ومست الحاجة الى الاستشهاد باشعارهم فى الغريب ولان من كان يأتى منهم بالحوشى لم يكن يأتى به الا على جهة التطلب والتكلف لما استعمله منه لكن بعادته وعلى سجية لفظه فاما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع مثل شعر أبى حزام غالب بن الحارث العكلى وكان فى زمن المهدى وله فى ابى عبيد الله قصيدة أولها

تذكرتَ سَلمى وإهلاسَها فلم إنسَ والشوقُ ذومطرؤه [١]

(وفيها يقول)

فحيٍّ الوزيرَ إمامَ الهُدَى وهو بالأرب ذو مَجْؤه [٢]

---

(١) وقد ذكرت هذه القصيدة في كتاب الموشح للمرزبانى ص ٣٥٤ نقلا عن هذا الكتاب الا أن فيها بعض تغيير في الابيات أبينها هنا فيما يأتى : (٢) فحى الوزير : ونسخة الموشح لاوحى الوزير . وهو بالارب . الموشح فيه زياده لنا وواو العطف قبل الضمير اي (لنا وهو)

يَسُوس الأمورَ فتأتى لهُ ... ومافى عزيمته منهوه

وفى بالأمانة صفوَ التقي ... وما الصفو بالرنق المحمُوه

وعندَ معاوية المصطفى ... حياً غير ماج ولا مطرُوه

فقال الوزير الامين: انظمُوا ... فريضاً عويصاً على اللؤلؤه

فقيدتُ مرتفقا وحيه ... بغير انصباب الى المشكؤه[1]

سعيدى من الحقّ ذو فطنة ... معي فى العواقب والمبدُوه[2]

بيوتاً علىّ لها وجهة ... بغير السناد ولا المكفؤه

ومثل شعر احمد بن جحدر الخراسانى فى مالك بن طوق ويقال انها لمحمد ابن عبد الرحمن الغريبي الكوفى فى عسى الاشعرى

فيا منزلَ الحيّ حيثُ الغضا ... سلامُك إنّ النوى تصرمُ[3]

ويا طللاً آية ما ارتمت ... بأيلاك غربتها المرجمُ

حلفت بما أرقلت نحوه ... همرجاة خلقها شيظمُ[4]

وما شرقت من تنوفية ... بها من وحى الجنّ زيزيزمُ[5]

فبلغني انه انشد ابن الاعرابى هذه القصيدة فلما بلغ الى ههنا قال له ابن الاعرابى ان كنت جادا فحسبك الله (ومنها)

لأمّ لكم نجلت مالكاً ... من الشمس لو نجلت اكرمُ

---

(١) فقيدت فى الموشح فعبرت . بغير انصباب : فى الموشح : لغير (٢) سعيدي من الحق : في الموشح : سيدنى من الحق (٣) حيث الغضا : ويروي فى الموشح : جنب الغضى (٤) الهمرجلة : السريعة . الشيظم . الطويل الجسم (٥) بها من وحى الجن : يروي فى الموشح نقلا عن هذا الكتاب من وحا الجن . زيزيزم ويروي أيضا زيزم .

ومن اين مثلك ؟ لا اين هو !　　اذا الريقُ أقفرَ مِنهُ الفمُ[١]

ومن الاعراب ايضا من شعره فظيع التوحيش مثل ما انشدناه احمد بن يحى عن ابن الاعرابى لمحمد بن علقمة التميمى يقولها لرجل من كلب يقال له ابن الفنشخ وورد عليه فلم يسقه

أفرخْ أذا كَلْبٍ وأفرخْ أفرخِ　　أخطأتَ وجهَ الحقِّ فى التطخطُخِ[٢]

أما وربِّ الراقصاتِ الزمخ　　يخرجنَ مابينَ الجبالِ الشمَّخِ[٣]

يزرنَ بيتَ اللهِ عندَ المصرخِ　　لتطمخنَّ برشاً ممطَّخِ[٤]

ماءً سوى مائى يا ابنَ الفنشخِ　　او لتجيئنَّ بوشىٍ بخْ بخِ[٥]

منْ كيسِ ذى كيسٍ وضأنٍ منفخِ　　قدْ ضمهُ حولينِ لم يسنخِ[٦]

صم الصماليخِ صماخَ الأصلخِ

ومن عيوب اللفظ (المعاظلة) وهى التى وصف عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته لها ايضا حيث قال وكان لا يعاظل بين الكلام وسألت احمد بن يحى عن المعاظلة فقال مداخلة الشىء فى الشىء يقال تعاظلت الجرادتان وعاظل الرجل المرأة اذا ركب احدهما الآخر واذا كان الامر كذلك فمن المحال ان تنكر مداخلة بعض الكلام فى مايشبهه من وجه أو فى ما كان من جنسه وبقى النكير انما هو فى ان يدخل بعضه فى ما ليس من جنسه وماهو غير لائق به وما اعرف ذلك الا فاحش الاستعارة　　(مثل قول اوس)

وَذاتُ هدْمٍ عارٍ نواشرُها　　تُصمِطُ بالماءِ تولباً جدعاً[٧]

---

(١) أقفر منه : ذهب منه . (٢) افرخ إذا كلب . يروى فى الموشح . اخا كلب . وافرخ : سكن . (٣) الزمخ : المتكبرين . الشمخ : العاليه (٤) المصرخ المغيث والمعين . . (٥) بخ بخ : عظيم . وبخ تقل وحدها وتكرر . (٦) كضأن منفخ : ويروى فى الموشح مثل ص ٣٥٥ منفخ (٧) تقدم شرح هذا البيت فى ص ٦١

فسمى الصبي تولبا وهو ولد الحمار (ومثل قول الآخر)

وَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ   عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرِ [١]

فسمى رجل الانسان حافرا فان ماجرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين اشياء من الاستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير اذا كان مخرجها مخرج التشبيه (فمن ذلك قول امرىء القيس)

فقلتُ لَهُ لمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ   وأردفَ أعجازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ [٢]

كأنه اراد ان هذا الليل فى تطاوله كالذى يتمطى بصلبه لا ان له صلبا وهذا مخرج لفظه اذا تؤمل (ومنه قول زهير)

صَحَا القلبُ عن سَلْمَى واقصرَ بَاطِلُهُ   وعُرِّيَ افراسُ الصِّبَى ورَوَاحِلُهُ [٣]

فكأن مخرج كلام زهير انما هو مخرج كلام من اراد انه كما ان الافراس للحرب وانما تعرى عند تركها ووضعها فكذلك تعرى افراس الصبي ان كانت له افراس عند تركه والعزوف عنه (وكذلك قول أوس بن حجر)

وَإنِّي امرُؤٌ اعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ بَعْدَمَا   رَأَيتُ لَهَا نَاباً مِنَ الشَّرِّ أعْصَلَا

فانه انما اراد أن هذه الحرب قديمة قد اشتد امرها كما يكون ناب البعير أعصل اذا طال عمره و اشتد (وكذلك قول عنترة العبسى)

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ   فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدِّرْهَمِ [٤]

---

(١) البكر : الفتى من الابل (٢) تمطى : طال . وفي البيت . بمعنى تمدد وتطاول . بصلبه : وروي بجوزه : الارداف : الاتباع ناء : نهض الكلكل : الصدر : والجمع كلاكل والباء فى بكلكل وبصدره للتعديه (٣) اقصر : كف . باطله : صباه ولهوه . عري : ترك . أفراس الصبا ورواحله : الافراس والرواحل التى كنت أركبها في أيام الصبا لأ لهو بها . (٤) جادت نزلت بكثرة البكر : من السحاب السابق مطره والجمع الابكار وروى كل عين . حرة الحر من كل شيء خالصه والمراد هنا البيضاء وروى ثره والثرة الكثيرة الماء . القراره : القاع المستدير المنخفض كالدرهم : فى الاستداره

(وقول طفيل الغنوى)

وحملت كُورى خلفَ ناجيةٍ　　يقتات شحمَ سنامِها الرحلُ

(وقول عمرو بن كلثوم)

ألا ابلغْ النعمانَ عنى رسالةً　　فمجدُك حولىٌّ ولؤمك قارحُ [١]

(وقول ابى ذؤيب الهذلى)

وإذا المنيةُ أنشبت أظفارَها　　ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لاتنفعُ [٢]

(وقول اوس بن معز يهجو بنى عامر)

يشيبُ على لؤمِ الفِعالِ كبيرُها　　ويغذى بثدى اللؤمِ منها وليدُها

(وقال المخبل)

يُعالج عزًّا قد سما عظم رأسه　　قراسية كالفحل يصرفُ بازلُه [٣]

فما جرى هذا المجرى مما له مجاز كان اخف واسهل مما فحش ولم يعرف له مجاز وكان منافرا للعادة بعيدا مما يستعمل الناس مثله ولنتبع الكلام فى عيوب اللفظ عيوب الوزن

(الكلام فى عيوب الوزن)

من عيوبه الخروج عن العروض وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة الا أن من عيوبه التخلع وهو أن يكون قبيح الوزن قد افرط تزحيفه وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميله الى الانكسار واخرجه من باب الشعر الذى يعرف السامع له صحة وزنه فى اول وهلة الى ما ينكره حتى ينعم ذوقه او يعرضه على العروض فيصح فيه فان ماجرى هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة

(١) القارح : هو الذى انتهت اسنانه وإنما تنتهى فى خمس سنين لانه فى السنة الاولى حولى ثم جدع ثم ثنى ثم رباع ثم قارح . (٢) المنيه الموت . انشبت : علقت . التميمه : التعويذه . (٣) القراسيه : بالضم وتخفيف الياء الضخم الشديد من الابل والصريف صوت يحدث من احتكاك الاسنان . البازل: السن تطلع في وقت البزول . والبذل الشق

قليل الحلاوة (وذلك مثل قول الاسود بن يعفر)(١)

انا ذممنا على ماخيلت سعد بن زيد وعمرو من تميم ٢
وضبة المشترى العار بنا وذاك عم بنا غير رحيم
لاينتهون الدهر عن مولى لنا قورك بالسهم حافات الأديم
ونحن قوم لنا رماح وثروة من موال وصميم
لانشتكى الوصم فى الحرب ولا نئن كنانات السليم ٣

(ومثل قول عروة بن الورد)

ياهند بنت أبى ذراع اخلفتنى ظنى وبرتنى عشنقى
ونكحت راعى ثلة يثمرها والدهر فائته بما يبقى

(ومثل قصيدة عبيد بن الابرص وفيها ابيات قد خرجت عن العروض البتة)
(وقبح ذلك جودة الشعر حتى صاره الى حد الرديء فمن ذلك قوله)

والمرء ماعاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب

فهذا معنى جيد ولفظ حسن الا ان وزنه قد شانه وقبح حسنه وافسد جيده فما جرى من الترحيف فى القصيدة او الابيات كلها او اكثرها كان قبيحا من اجل افراطه فى التخليع مرة ومن اجل دوامه وكثرته ثانية وانما يستحب من الترحيف ماكان غير مفرط وكان فى بيت او بيتين من القصيدة من غير توال ولا اتساق ولا افراط يخرجه عن الوزن مثل ما قال متمم بن نويرة

---

(١) قال صاحب الموشح للمرزباني ص٨٢ وتروي لغيره اي لغير الاسود بن يعفر . (٢) وعمرو من تميم . ويروى فى الموشح وعمرا بالنصب وعلي كلا الروايتين فالاعراب صحيح لان رواية الرفع تكون قد أعملنا الثانى وهو خيلت وعلى رواية النصب نكون قد أعملنا الاول وهو ذممنا (٣) كنانات: ويروى فى الموشح ص٨٢ كتانات وأظنه هو الاظهر

وَفقدُ بنى أمٍّ تداعوا فلم أكُنْ خلافَهمُ لأستكينَ وأضرَعا

فاما الافراط والدوام قبيح . وقال اسحاق يحكى عن يونس انه قال اهون عيوب الشعر الزحاف وهو ان تنقص الجزء عن سائر الاجزاء فمنه ما نقصانه اخفى ومنه ما هو اشنع وهو جائز فى العروض (قال خالد ابن اخى ابى (١) ذؤيب الهذلى)

لعلكِ إمّا أمُّ عمرو تبدّلتْ سواكَ خليلاً شاتمى تَستخيرَها

فهذا مزاحف فى كاف سواك ومن انشد خليلا سواك كان اشنع قال كان الخليل ابن احمد رحمه الله يستحسنه فى الشعر اذا قل منه البيت والبيتان فاذا توالى وكثر فى القصيدة سمج قال اسحاق فان قيل كيف يستحسن وهو عيب قلنا قد يكون مثل هذا الحول واللثغ فى الجاريه يشتهى القليل منه فان كثر هجن وسمج والوضح فى الخيل يشتهى ويستظرف خفيفة الغرة والتحجيل فاذا فشا وكثر كان هجنة وهنا قال وخفيف البلق يحتمل ولم ارا بلق سابقا ولم اسمع به ولنبتع الكلام فى عيوب الوزن عيوب القوافى

(الكلام فى عيوب القوافى)

ولندع ما اتى به لمن استقصى ذلك فى ماوصفه فى الكتب اذ كان لارب فى اعادته ولكنا نتكلم فى ذلك بظاهر ما يعرفه جمهور الناس من المعايب التى ليست من جنس ما وضعت فيه الكتب ولنذكر مما وضع فيها ماكانت القدماء تعيب به دون غيره . فمن ذلك (التجميع) وهو ان تكون قافيه المصراع الاول من البيت الاول على روى متهيء لان تكون قافيه آخر البيت فتأتى بخلافه

(١) فى هامش الموشح ص ٨٣ « فى نقد الشعر لقدامة ص ٦٩ « خالد بن اخى ابى ذؤيب » وقال العلامه الشنقيطى (في نقد الشعر) لقدامة في هامش نسخته كذا بالاصل قلت . وصوابه (خالد بن زهير) وابو ذؤيب خاله لا ابوه وكتبه محققه محمد محمود التلاميذ التركزى لطف الله به امين »

(مثل ما قال عمر بن شاس)

تَذَكَّرتُ ليلى لاتَ حينَ إذكارَها وقد حَنِيَ الاصلاب ضلا بتضلالَ

(ومثل قول الشماخ)

لمنْ منزل عافٍ ورَسْم منازل عفتْ بعد عهدِ العاهِدِينَ رياضُها

ومن عيوبها (الاقواء) وهو ان يختلف اعراب القوافى فتكون قافية مرفوعه مثلا واخرى مخفوضه وهذا فى شعر الاعراب كثيرجدا وفى من دون الفحول من الشعراء وقد ارتكب بعض فحول الشعراء الاقواء فى مواضع مثل سحيم ابن وثيل الرياحى

عَذرتُ البزل إن هى خَاطَرتنى فما بَالى وبال ابن اللَّبُونِ
وَماذا تَبْتَغى الشُّعَراءُ مِنّى وقَدْ جَاوَزْتُ حدَّ الأربعينَ

فنون الاربعين مفتوحة ونون اللبون مكسورة ولكنه كأنه وقف القوافى فلم يحركها

(وقال جرير)

عرينٌ مِنْ عُرينَةَ ليْسَ مِنَّا بَرِئْتُ الى عُرينَة مِنْ عرينِ[1]
عرَفنا جعفراً وَبنى عبيدٍ وانكَرْنَا زَعَانفَ آخرِينَ[2]

ومنه (الايطاء) وهو ان تتفق القافيتان فى قصيدة فان زادت على اثنين فهو اسمج فان اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزا كقولك اريد خيارا واوثر خيارا اى تريد خيارا من الله لك فى كذا وخيار الشىء اجوده والأيطاء من المواطأة اى الموافقة قال الله تبارك وتعالى وليواطؤا عدة ماحرم الله اى ليوافقوا

ومنه (السناد) وهو ان يختلف تصريف القافيتين كما قال عدى بن زيد

(١) العرين : مأوي الاسد والضبع والذئب والحيه كالعرينة والجمع ككتب

(٢) الزعانف : جمع مفرده زعنفه : والزعنفه : القطعة من القبيلة تشذ وتنفرد أو القبيلة القليلة تنضم الي غيرها . وبنى عبيد ويروي وبنى أبيه

فَفاجأَها وقد جمعت جمُوعاً · عَلى ابواب حصن مصلتينا
فقدمت الأَدِيم لِراهشيه · وألفى قولها كذِباً ومينا[1]

(وكقول الفضل بن العباس اللهبي)

عبد شمس أبى فأن كُنت غضبي · فاملإِى وجهك المليح خموشا[2]
نحن كنا سُكانها من قريش · وبنا سُميت قريش قُريشا[3]

والتساند من قولهم خرج بنو فلان برأسين متسا ندين اى كل فريق منهم على حياله وهو مثل ما قالوا كانت قريش يوم الفخار متساندين اى لايقودهم رجل واحد ولنتبع ذلك بالكلام على عيوب المعانى

(عيوب المعانى)

قد كنا قدمنا فى باب النعوت ان جملتها ان يكون المعنى مواجها للغرض غير عادل عنه الى جهة اخرى وبينا من الاغراض التى تنتحيها الشعراء فى ذلك الموضع ما اذا حفظ عرف العيب بالعدول عنه وبدأنا فى باب المديح بامور جعلناها امثلة فلا بأس ان نأتى فى امثالها بامثلة ايضا

(ذكر المديح)

لما كنا قدمنا من حال المديح الجارى على الصواب ما أنبأنا أنه الذى يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصة به لا بما هو عرضى فيه وجعلنا مديح الرجال مثالا فى ذلك وذكرنا أن من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية كان مصيبا وجب أن يكون مايأتى به من المدح على خلاف الجهة التى ذكرناها فى النعوت معيبا. ومن الأمثلة الجياد فى هذا الموضع ماقاله عبد الملك بن مروان

---

(١) الاديم الطعام . مينا : كذبا فهو مرادف لما قبله وتأكيد له : (٢) خموشا: خدوشا وجروحا (٣) قريش: أنما سموبهذا الاسم لتجمعهم الي الحرم أو لأنهم كانوايتقرشون البياعات فيشترونها.

لعبيد الله بن قيس الرقيات حيث عتب عليه فى مدحه إياه فقال له انك قلت فى مصعب بن الزبير

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء (١)

(وقلت فى)

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب (٢)

فوجه عتب عبد الملك انما هو من أجل ان هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة والعدل والشجاعة الى مايليق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينة وقد كنا قدمنا ان ذلك غلط وعيب

(ومنه قول ايمن بن خزيم فى بشر بن مروان)

يا ابن الذوائب والذرى والأرؤس والفرع من مضر العفرنى الانفس

يا ابن المكارم من قريش ذا العلى وابن الخلائف وابن كل قلمس

من فرع آدم كابراً عن كابر حتى انتهيت الى ابيك العنبسى

مروان إن قناته خطية غرست أرومتها أعز المغرس

وبنيت عند مقام ربك قبة خضراء كلل تاجها بالفسفس

فسماؤها ذهب واسفل أرضها ورق تلألأ في البهيم الحندس

فما فى هذه الأبيات شىء يتعلق بالمدح الحقيقى وذلك ان كثيرا من الناس

---

(١) عن وجهه ويروى في الموشح نقلا عن هذا الكتاب عن نور. (٢) يأتلق الخ وقبل هذا البيت هو

ان الاغر الذى أبوه أبو العاصى عليه الوقار والحجب

وبعد أنشاده قال عبد الملك يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من ملوك العجم، تقول فى مصعب.

إنما مصعب شهاب من الله البيت.

لا يكونون كآبائهم فى الفضل فلم يصف هذا الشاعر غير الآباء ولم يصف الممدوح بفضيلة فى نفسه اصلا . وذكر بعد ذلك بناءه قبة ثم وصف القبة انها من الذهب والفضة وهذا أيضاً ليس من المدح لان فى الملك والثروة مع الصنعة والفهم ما يمكن معه بناء القباب الحسنة واتخاذ كل آلة فائقة ولكن ليس ذلك مدحا يعتد به ولا جاريا على حقه ومما نذكره فى هذا الموضع ليصح به شدة قبح هذا المدح قول اسجع بن عمرو فى المدح بما يخالف اليسار

يُرِيدُ الملوكَ نَدَى جعفَرٍ ولا يصنعُونَ كَمَا يَصْنَعُ

وليس بأوْسَعِهِم فى الغنَى ولكِنَّ مَعْرُوفَهُ أوْسَعُ

فقد احسن هذا الشاعر حيث لم يجعل الغنى واليسار فضيلة بل جعلها غيرها

(وقال ايضا ايمن بن خزيم فى بشر)

فلو أعطاكَ بِشْرٌ ألفَ الفٍ رأى حقاً عليهِ أن يَزِيدَا

واعقَبَ مِدْحَتِى سَرْجاً خلنجاً وابيضَ جَوْزَ جانِيًا عَقُودَا

فأنا قــد وجـدنا أُمَّ بشْـرٍ كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكَاراً وَلُودَا

فجميع هـذا المدح على غير الصواب وذلك انه أومأ الى المدح والتناهى فى الجود اولا ثم افسده فى البيت الثانى بذكر السرج وغيره ثم ذكر فى البيت الثالث ما هو الى ان يكون ذما اقرب وذلك انه جعل امه ولودا والناس مجمعون على ان نتاج الحيوانات الكريمة يكون انزر (ومنه قول الشاعر)

بُغَاثُ الطَّيرِ اكثَرُهَا فِراخاً وأُمُّ الصقْرِ مقلاتٌ نَزُورُ[1]

(ذكر عيوب الهجاء)

كما ان معرفة رداءة المدح كانت سهلة جيدة فكذلك عيب الهجاء يسهل الطريق الى العلم به ما تقدم فى باب نعته وجماع القول فيه انه متى سلب المهجو

---

(١) البغاث : سلة طائر

أمورا لاتجانس الفضائل النفسانية كان ذلك عيبا فى الهجاء مثل ان ينسب الى انه قبيح الوجه أو صغير الحجم أو ضئيل الجسم أو مقتر أو معسر أو من قوم ليسوا بأشراف اذا كانت أفعاله فى نفسه جميلة وخصاله كريمة نبيلة او ان يكون أبواه مخطئين اذا كان مصيبا وغويين اذا وجد رشيدا سديدا أو بقلة العدد اذا كان كريما وعدم النضار اذا كان راجحا شهما فلست أرى ذلك هجاء جاريا على الحق . ومما يدل على ذلك بعد القياس الصحيح والنظر الصريح أشعار وأقوال أعددها (فمنها ما أنشدناه أبو العباس أحمد بن يحى)

رَأَتْ نصف أسفَار أميمةَ قاعداً ... عَلى نصف أسفار يجن جنُونها

فقالَتْ من ای الناس أنتَ أتيتنا ... فأنكَ رَاعى ثلة لا ترينها

فقلتُ لَها ليسَ الشُّحوبُ على الفتَى ... بعَارٍ ولا خيرُ الرِّجالِ سَمينهَا[1]

فهذا صحيح فى ان القبح والشحوب والسماجة ليست بعار ومن هذا أيضا قول بعضهم فى ابن له ازدراه رجال فمنعهم من نعمه فاغاروا عليها

رَأَوهُ فازْدَروه وهوْ خرق ... وينفَع أهلَه الرَّجل القَبيحُ

(ومن الابيات الاول فى ان قلة المال ليست عارا قوله)

عَليكَ يَرَاعى ثلة مسْلحبة ... يروحُ عليـه نحضُها وحقينُها

سَمينُ الضواحى لم تؤرقه ليلة ... وإنْ عَمَّ أبكار الهُموم وعُونُها[2]

وللسموأل فى ان قلة العدد ليس عيبا ولا سبة

تُعيرُنا أنّا قَليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها إن الكرامَ قليلُ

وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا ... عَزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليل

---

(١) الشحوب : تغير لون الوجه من هزال أو مرض . (٢) العون : الكبيرة عن البكر

فعدى هذا الشاعر عن الهجاء الذى عيرتهم به هذه المعيرة واحتج فيه بما دل على انه غير ضائر ثم وصف بعد ذلك نفسه وقومه بالاوصاف التى تليق بذكرنا اياها فى هذا الموضع للمنفعة فى تعليم الهجاء الجارى على الصواب فقال

وإنّا لقومٌ ما نرى القَتْلَ سُبّةً ... إذا ما رأتهُ عامرٌ وسَلولُ (١)

يقرّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لَنا ... وتَكرَهُهُ آجالُهم فَتطولُ (٢)

وما ماتَ منّا سيّدٌ حتفَ أنفِهِ ... ولا طُلَّ منّا حيث ماتَ قتيلُ (٣)

لَنا جبلٌ يحتلّهُ من نُجيرُهُ ... منيعٌ يردُ الطرفَ وهو كليلُ (٤)

فأتى فى هذه الابيات بالمدح من جهة الشجاعة والبأس والعز ثم قال

وننكرُ إنْ شئنا على الناسِ قولَهمْ ... ولا ينكرونَ القولَ حيث نَقولُ (٥)

إذا سَيّدٌ منّا خلا قامَ سَيّدٌ ... قؤولٌ لما قالَ الكِرامُ فَعولُ

---

(١) السبه : مايسب به . وعامر وسلول : عامر بن صعصعه . وبنو سلول هم بنو مرة بن صعصعة التى تنتهى الى قيس بن عيلان لانرى الموت يروى ما نرى.

(٢) يقرب حب الموت : روي يقصر حب الموت والمعنى أنهم لحبهم الموت فى سبيل الدفاع عن العار يقتحمون الحروب ويغتبطون لاقتحامهم الموت وأن أعداءهم تطول اعمارهم لمجانبتهم الشر. (٣) حتف أنفه : وانما خص الانف بذلك لانه من جهته يقتضي الرمق ويروي وما مات سيد في فراشه وحتف منصوبة على الحال . ولاطل منا الخ أى لم يبطل دم قتيل منا يقال كل دمه أى بطل (٤) لنا جبل . المراد بالجبل العز والسمو . الطرف: النظر والعين ولكن هذا البيت بيت القصيدة الي السموأل

(٥) حيث نقول : يروى حين نقول والمعني واحد فى الروايتين

اذا سيد البيت هذا البيت يشبه قول حاتم

إذا مات منهم سيد قام بعده ... نظير له يغنى غناه ويخلف

سَلي إنْ جَهلْتِ الناسَ عَنا وعَنْهُم   فليسَ سواءٌ عالمٌ وجهُول [1]

فاتى فى هذه الأبيات بالوصف والمدح من جهة العقل والرأى والفهم ثم قال :

فنحنُ كماء المُزْنِ ما فى نِصابنا   كهامٌ ولا فينا يُعدُّ بخيل [2]

فاتى بالمدح من جهة الجود وهو أحد أقسام العدل كما بيناثم قال

صَفونا فلم نكْدَرْ وأخلص سرَّنا   إناثٌ أطابَتْ حملنا وفحولُ

فاتى بالمدح من جهة العفة اذ كان فى ذكره طيب الحمل دليل على ذلك أفلا ترى ان هذا الشاعر لما علم أن المغيرة لم تأت بما يضرهم احتج فى ذلك بما يزيل الظنة عنهم ثم عمد الى الفضائل التى هى فضائل بالحقيقة فاوجبها فكأنه أرى بهذا الفعل ان ماقالته المعيرة جاريا على غير الصواب وأنشد أحمد بن يحيى فى هذا المعنى

وإنى لا أُخزَى إذا قيلَ مملقٌ   جوادٌ وأُخزَى أن يُقال بخيلُ [3]

وبلغنى ان ابن الزبير لما دخل الشام ناداه أهله يا ابن النطاقين فقال لابن أبى عتيق وتلك شكاة ظاهر عنك عارها فابان بهذا القول انه لا يلزمه ما يقال فى أمه فاذا تؤمل ماذكرته فى هذا الباب لم يبعد الوقوف على عيب الهجاء كيف يتعرف

(عيوب المراثى)

واما المراثى ففى ما قدمته فى باب نعوتها أيضا ماابان عن الوجه فى باب

---

(١) سلي ان جهلت البيت : اي ان كنت جاهله بنا وبأحسابنا فسلى الناس عنا

(٢) ماء المزن : المطر وهو أصفى المياه عندهم فشبه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر والمزن الابيض. الكهام : الكليل الحد وبعض العلماء انتقد هذا البيت بأن الكهوم والمضاء ليسا من ماء المزن فى شيء وكان ينبغي ان يقول نحن كماء المزن صفاء واخلاقا الخ (٣) صفونا الخ اي انسابنا صفت من كل كدر يشبها سرنا : اصلنا .

عيوبها اذا كان النظر صحيحا والفكر سليما

(واما عيب التشبيه)

فذاك سبيله أيضا لمن كان حافظا لما تقدم من اقوالنا فى باب نعوته

(وأما عيب الوصف)

فى المضادة فى باب نعوته

(وأما الغزل)

فالقول فيه كالقول فى ما مر من هذه الابواب اذ كان عيبه انما هو مضادة ماقدمنا ذكره فى باب نعته ومن الغزل الجارى على تلك المضادة وفيه مع انه مثال فى هـذا الموضع للعيب توكيدا لما قدمناه فى باب النعوت قول اسحق الاعرج مولى عبدالعزيز بن مروان

فَلمَّا بَدا لى ما رَاعَنِى نزعتُ نزوعَ الأَبِىّ الكَرِيمِ

وبلغنى ان أبا السائب المخزومى لما أنشد هذا البيت قال قبحه الله لا والله ما أحببتها ساعة قط (ومثله لنابغة بنى تغلب واسمه الحارث بنى عدوان)

هجرتَ امامةَ هجراً طويلاَ وما كانَ هجرُكَ الا جَميلاَ

على غيرِ بُغضٍ ولا عن قِلَى وليسَ حياءً وليس ذهولاَ [١]

وَلكن بخلنا لبخلك عمداً فكيفَ يلومُ البخيلُ البخيلاَ

ولما كان المذهب فى الغزل انما هو الرقة واللطافة والشكل والدمائة كان مما يحتاج فيه ان تكون الالفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة فاذا كانت جاسية كان ذلك عيبا الا انه لما لم يكن عيبا على الاطلاق أمكن ان يكون حسنا اذ كان قد يحتاج الى الخشونة فى مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والبأس والرهبة وكان أحق المواضع التى يكون فيها عيبا الغزل لمنافرته تلك الاحوال

---

(١) ق: يقال قلي بكسر القاف وضمها وقلا ومقليه ابغضه وكرهه غاية الكراهة .

وتباعده منها (فمن الكلام المستثقل فى الغزل قول عبدالرحمن بن عبدالله القس)

انْ تنأ دارُكِ لا أمل تذكراً ... وعليكِ منّى رحمةٌ وسلام[١]

(ومن المستخشن قول هذا الشاعر)

سلامُ لَيتَ لِساناً تَنْطقينَ بهِ ... قَبلَ الذى نالهُ منْ صوتهِ قُطِعا

فما رأيت أغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانها حيث أجادت فى غنائها له

(فاما العيوب العامة للمعانى)

من الاغراض التى ذكرناها وغيرها وعموم ذلك اياها كعموم النعوت التى قدمنا وعدد فى أبوابها (فمنها فساد الاقسام) وذلك يكون اما بان يكررها الشاعر او يأتى بقسمين احدهما تحت الاخر فى الوقت الحاضر أو يجوز ان يدخل أحدهما فى الاخر فى المستأنف وان يدع بعضها فلا يأتى به فاما التكرير فمثل قول هذيل الأشجعى

فَما بَرِحتْ تُومى الىَّ بطرْفِها ... وتُومضُ أحياناً اذا خصمُها غفلْ

لان تومض وتومى بطرفها متساويان فى المعنى : وأما دخول أحد القسمين فى الاخر فمثل قول أحدهم

أبادِرِ اهلاكَ مُستهلكٍ ... لمالىِ أوْ عَبثَ العابثِ

فعبث العابث دخل فى اهلاك مستهلك . ومثل قول امية بن أبى الصلت

للهِ نعمتُنا تباركَ ربُنا ... ربُّ الأنام وربٌّ من يتأبد[٢]

فليس يجوز أن يكون أمية أراد بقوله الوحش وذلك ان من لا تقع على الحيوان غير الناطق . واذا كان الامر على هذا فمن لايتوحش داخل فى الانام أو يكون أراد بقوله يتأبد أى يتقوت من الابد وذلك داخل فى الانام وأما ان يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما فى الاخر مثل قول أبى عدى القرشى

---

(١) ان تنا: تبعد . (٢) يتأبد : يتوحش .

غير ما أنْ أكونَ نلتُ نوالا　　　منْ نداها عفوا ولا مهنئا

فالعفو قد يجوز ان يكون مهنئا والمهنىء قد يجوز ان يكون عفوا وقد ضحك من أنوك سأل مرة فقال علقمـه بن عبدة جاهلى أم من تميم فان الجاهلى قد يكون من بنى تميم او من بنى عامر والتميمى قد يكون اسلاميا وجاهليا

(ومن ذلك قول عبد الله بن سليم الغامدى)

فهبطتُ سِربْاً ما يفزَّعُ وحشُهُ　　　منْ بين سربٍ ناوىءٍ وكُنوس(١)

ناوى ء سمين يقال نوىء أى سمن والسمين يجـوز أن يكون كانسا والكانس يجوز أن يكون سمينا وهزيلا وأما الاقسام التى يترك بعضها لا يحتمل الواجب تركه

(فمثل قول جرير فى بنى حنيفة)

صارتْ حنيفةُ أثلاثاً فثلثهُم　　　منَ العبيدِ وثلثٌ منْ مواليها

فبلغنى ان هذا الشعر أنشد فى مجلس ورجل من بنى حنيفة حاضر فقيل له من أيهم أنت فقال من الثلث الملغى ذكره

(ومن عيوب المعانى فساد المقابلات)

من كان حافظا لما ذكرنا من صحة المقابلات فى باب النعوت ظهرت له الحال فى فسادها ظهورا اكثر وهو ان يضع الشاعر معنى يريد ان يقابله باخر إما على جهة الموافقة أو المخالفة فيكون أحد المعنيين لا يخالف الاخر أو يوافقه

(مثال ذلك قول أبى على القرشى)

يا ابنَ خيرِ الأخيارِ منْ عبدِ شمس　　　أنت زينُ الدنيا وغيثُ الجنودِ

فليس قوله وغيث الجنود موافقا لقوله زين الدنيا ولا مضادا وذلك عيب

(ومنه قول هذا الرجل فى مثل ذلك)

---

(١) سربا: وفى الموشح ص ٨٤ ثيثا كنوس: يقال تكنس دخل الخيمه والمراة دخلت الهودج.

رَحماهُ لذى الصلاح وضرّابون قِدْماً لهامةِ الصنديدِ[١]

فلبس للصنديد فى ماتقدم ضد ولامثل ولعله لو كان مكان قوله الصنديد الشرير لكان جيدا لقوله ذى الصلاح وللعدول عن هذا العيب غير الرواة قول امرىء القيس

فلوْ أنها نفسٌ تموتُ سويةً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفُسا[٢]

فابدلوا فى مكان سوية جميعة لانه فى مقابلة تساقط أنفسا أليق من سوية

(ومن عيوب المعانى فساد التفسير)

من كان ذاكرا لما قدمناه فى باب نعت هذا المعنى عرف الوجه فى عيبه مثال ذلك اذ جاءنى بعض الشعراء فى هذا الوقت وأنا أطلب أمثلة فى هذا الباب ليستفتينى فيه وهو

فَيَاأيهـا الحيرَان فى ظُلَمِ الدُّجى ومنْ خاف أنْ يلقاهُ بغيٌ منَ العِدَى

تعالى اليهِ تلقَ منْ نورِ وجههِ ضياءً ومن كَفَّيْهِ بحرًا من الندى

وقد كان هذا الرجل يسمعنى كثيرا الخوض فى أشياء من نقد الشعر فيعى بعض ذلك ويستجيد الطريق التى أوضحها له فلما وقع هذان البيتان فى قصيدة له ولاح له مافيهما من العيب ولم يتحققه صار الى وذكر انه عرضهما على جماعة من الشعراء وغيرهم من ظن ان عنده مفتاحا وان بعضهم جوزهما وبعضهم شعر بالعيب فيهما فذكرت له الحال فيهما وأثبت البيتين فى هذا الموضع مثالا ووجه العيب فيهما ان هذا الشاعر لما قدم فى البيت الاول الحيرة فى الظلم وبغى العدى كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين فى البيت الثانى بما يليق بهما فأتى بالظلام بالضياء وذلك صواب وكان الواجب أن يأتى بازاء العدى بالنصرة أو بالعصمة او بالوزر او بما جانس ذلك مما يحتمى به الانسان من أعدائه فلم يأت بذلك وجعل مكانه ذكر الندى ولو كان ذكر الفقر او العدم لكان ما أتى به صوابا وقد يتفرع من هذا الباب خطأان اذا وقعا فيه خرجا الى آخرين من أبواب عيوب الشعر أحدهما ان يكون هذا الشاعر لو لم يأت بخلاف القسم الثانى مثلا بل تركه لدخل فى باب الخلل ولو لم يتركه بل أتى به وزاد

---

(١) الهامة: راس كل شىء. الصنديد: السيد الشريف (٢) تموت سويه ويرى جميعه، والمعنى تموت مرة واحدة ولكنها بغير ذلك فان المرض ينقصها شيئا فشيئا حتى تنتهي.

عليه لدخل في باب الحشو وقد ذكرنا هذين البابين في مواضعهما

(ومن عيوب المعاني الاستحالة والتناقض)

وهما ان يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة والاشياء تتقابل على أربع جهات أما على طريق المضاف ومعنى المضاف هو الشيء الذي يقال بالقياس الى غيره مثل الضعف الى نصفه والمولى الى عبده والاب الى ابنه فكل واحد من الاب والابن والمولى والعبد والضعف والنصف يقال بالاضافة الى الاخر وهذه الاشياء من جهة ما ان كان واحد منها يقال بالقياس الى غيره، هي من المضاف ومن جهة ان كل واحد منها بازاء صاحبه كالمتقابل له فهي من المتقابلات فاما على طريق التضاد مثل الشرير للخير والحار للبارد والابيض للاسود وأما على طريق العدم والقنية مثل الاعمى للبصير والاصلع وذي الجمة وأما على طريق النفي والاثبات مثل ان يقال زيد جالس وزيد ليس بجالس فاذا أتى في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات وكان هذا الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية بل هو لاحق بجميع المعاني وأعني بقولي من جهة واحدة انه قد يجوز أن يجتمع في كلام منظوم ومنثور متقابلان من هذه المتقابلات ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة ويكون الكلام مستقيما غير محال ولا متناقض مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاف ان العشرة مثلا ضعف وانها نصف لكن يقال انها ضعف الخمسة ونصف العشرين فلا يكون ذلك محالا اذا قيل من جهتين كما لو قيل في انسان واحد انه اعمى العين بصيرها فلا محال وكذلك في التضاد أن يقال للفاتر حار بالنسبة الى البارد وبارد بالنسبة الى الحار فاما عند احدهما فلا وفي النفي والاثبات ان يقال زيد جالس في وقته الحاضر الذي هو جالس وغير جالس في الوقت الآتي الذي يقوم فيه اذا قام فذلك جائز واما في وقت واحد وحال واحدة جالس وغير جالس فلا ولهذه العلة يجوز ما يأتي في الشعر على هذه السبيل مثل ما قال خفاف بن ندبة

اذا انتكث الحبلُ ألفيتَه   صبورَ الخبارِ رزيناً خفيفا[1]

فلولم يرد انه رزين من حيث ليس هو خفيفا لم يكن مجوزا (ومثل ما قال الشنفرى)

فدقَّت وجلت وأسبكرت وأكملت   فلو جن انسانٌ من الحسنِ جنَّت

فانه انما أراد دقت من جهة وجلت من أخرى فاما لو كان أراد انها دقت من حيث جلت لم يكن جائزا وقد جاء فى الشعر من الاستحالة والتناقض ما لا عذر فيه وما جمع فى ما قيل فيه بين المتقابلات من جهة واحدة ومنه ما التناقض فيه ظاهر يعلم فى أول ما يلقى الى السمع منه ما يحتاج الى تنبيه على موضع التناقض (ومما جاء فى ذلك على جهة التضاد قول أبى نواس فى الخمر)

كأنَّ بقايا ما عنا من حبابها   تفاريقُ شيبٍ فى سوادِ عذارِ

فشبه حباب الكاس بالشيب وذلك قول جائز لان الحباب يشبه به فى البياض وحده لا فى شيء آخر غيره ثم قال

تردَّتْ به ثم انفرى عن أديمها   تفرِّى ليل عن بياض نهارِ

فالحباب الذى جعله فى هذا البيت الثانى كالليل هو الذى كان فى البيت الاول أبيض كالشيب والخمر التى كانت فى البيت الاول كسواد العذار هى التى صارت فى البيت الثانى كبياض النهار وليس فى التناقض له منصرف الى جهة من الجهات للعذر لان الاسود والابيض طرفان متضادان وكل واحد منهما فى غاية

---

(١) الخبار : مالان من الارض واسترخي (٢) دقت : ضؤلت وصغرت جلت : عظمت . (٣) ماعنا من حبابها : يروي فى الموشح ص ٢٦٦ ماعفا والحباب الفقاقيع تطفو كانها القوارير (٤) انفرى انشق : أديمها : جلدها . وفى هامش الموشح للمرزبانى ص ٣٦٦ القول بهامش الاصل الموجود بخط توزن النحوى صاحب ابى عمر الزاهد صاحب ابى العباس احمد بن يحيي ثعلب (تردت به ثم انفردت) وعلى هذه الروايه لا تناقض » ه.

البعد عن الآخر فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بانه اسود وأبيض الا كما يوصف الادكن فى الالوان بالقياس الى واحد من الطرفين الذى هو واسطة بينهما فيقال انه عند الأبيض اسود . ولعل قوما يحتجون لأبى نواس بأن يقولوا ان قوله تفرى ليل عن بياض نهار لم يرد به لا أبيض ولا أسود لـكن الذى أراده انما هو ذات التفرى وانحسار الشيء عن الشيء اسود كان أو أبيض أو غير ذلك من الالوان فنقول من يحتج بهذه الحجة تبطل من جهات احداها ان الرجل قد صرح بانه لم يرد غير اللون فقط بقوله عن بياض نهار والثانية تشبيهه الحباب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير البياض والثالثة ان الليل والنهار ليس هما غير الظلمة والضياء فيظن بالجاعل لهما في وصف من الاوصاف انه أراد شيئا آخر فان القائل مثلا فى شيء قد يتبرأ من شيء كما تتبرأ الشعرة من العجين قد يجوز أن يصرف قوله هذا على وجهين احدهما ان يظن انه أراد تبريء الاسود من الابيض لان فى الشعرة والعجين جسما يجوز أن يتبرأ من جسم وسوادا وبياضا فاما الليل والنهار فليس هما غير سواد وبياض فقط فاما جسم يتبرأ من جسم فلا . ومما جاء من الشعر فى التناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن بن عبيد الله القس

فإنى إذَا ما الموتُ حلّ بنفسها يزال بنفسى قبلَ ذَاكَ فأُقبَرُ

فقد جمع بين قبل وبعد وهما من المضاف لانه لاقبل الا لبعد ولا بعد الا لقبل حيث قال انه اذا وقع الموت بها وهذا القول كأنه شرط وصفة ليكون له جواب يأتى به وجوابه قوله يزال بنفسه قبل ذلك وهذا شبيه بقول قائل لو قال اذا انكسرت الجرة انكسر الكوز قبلها ومنزلة هذا التناقض عندى فوق منزلة جمع المتقابلين فى الشناعة لان هذا الشاعر جعل ماهو قبل بعدا . ومما جاء فى الشعر على طريق القنية والعدم قول ابن نوفل

لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشيخٍ كبيرِ السّنّ ليس بذِى ضَرِيرِ

فلفظة ضرير انما تستعمل وهى تصريف فعيل من الضر فى الا كثر للذى لا بصر له وقول هذا الشاعر فى هذا الشعر انه ذو بصر وانه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم وذلك انه يقول أن له بصرا ولا بصر له فهو بصير أعمى فان قال قائل أنه ضرير راجع الى البصر بانه أعمى فالعرب أولا انما تريد بضرير الانسان الذى قد لحقه الضر بذهاب بصره لا البصر نفسه وأيضا فليس البصر هو العين التى يقع عليها العمى بل ذات الابصار وذات الابصار لا يقال لها عمياء كما لا يقال أن حدة السيف كليلة بل انما يقال السيف كليل لان الحدة لا تكل وكذا البصر لا يعمى ولـكنه فى توسع اللغة وتسمح العرب فى اللفظ جائز على طريق المجاز وقد جاء فى أقوى المواضع حجة وهو القرآن فى قوله عز وجل انها لا تعمى الابصار ولـكنه اذا جاز فى البصر أن يقال أعمى فلا أرى يجوز أن يقال فيه مضرور وأرى أن مما يدخل فى هذا البيت من التناقض قول ابن هرمة

تراهُ اذا ما أبصرَ الضيفَ كلبه   يُـكلّمه منْ حبـه وهو أعجمُ[١]

فان هذا الشاعر أقنى الـكلب الـكلام فى قوله يكلمه ثم أعدمه اياه عند قوله وهو اعجم من غير أن يزيد فى القول مايدل على أن ماذكره انما أجراه على طريق الاستعارة فان عذر هذا الشاعر ببعض المعاذير اذا كانت الحجج كثيرة فهلا قال كما قال عنترة

فازورَّ منْ وقعِ القَنا بلُبانهِ   وشكى الىّ بعَبْرةٍ وتحَمحُمُ[٢]

فلم يخرج الفرس عما له من التحمحم الى الـكلام ثم قال

لو كانَ يدْرى ما المُحاورَةُ اشْتكَي   ولـكانَ لوْ علمَ الـكلامَ مكلمى

(ومما جاء من الشعر على طريق الايجاب والسلب قول عبد الرحمن بن عبيد الله القس)

رأى هجرَها والقتلَ مثْلينِ فاقصِروا   ملامـكمْ فالقتلُ أعفي وأيْسرُ

---

(١) ويروى يكاد وعلي هذه الرواية لا اعتراض علي الشاعر (٢) ازور: عوج. ولهذا اطلقوا على بغداد الزوار لازوراها عن القبلة. الحمحمه: صوت الفرس اذا طلب العلف. او رأى صاحبه فاستأنس اليه.

فأوجب هذا الشاعر للقتل والهجر انهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله القتل أعفى وأيسر فكأنه قال أن القتل مثل الهجر وليس هو مثله وأرى أن هذا الشاعر أراد أن يقول بل القتل أعفى وأيسر ولو قال بل لكان الشعر مستقيما لان مقام لفظة بل مقام ماينفى الماضى ويثبت المستأنف لكنه لما لم يقلها وأتى بجمع الاثبات ونفيه استحال شعره وليس اذا علمنا أن شاعرا أراد لفظة تقيم شعره فجعل مكانها لفظة تحيله وتفسده وجب أن يحسب له مايتوهم انه اراده ويترك ماقد صرح به ولو كانت الامور كلها تجرى على هذا لم يكن خطأ وأرى أن مما يجرى هذا المجرى قول يزيد بن مالك الغامدى حيث قال

أكفُّ الجَهلَ عن حُلَماء قَومى　　　وأعرضُ عن كلامِ الجاهِلينا[1]

إذَا رجلٌ تعرَّض مستَخفًا　　　لَنَا بالجهلِ أَوشكَ أَنْ يَحينا[2]

فقد أوجب هذا الشاعر فى البيت الاول لنفسه الحلم والاعراض عن الجهال ونفى ذلك بعينه فى البيت الثانى بتعديه فى معاقبة الجاهل الى أقصى العقوبات وهو القتل (ولابى نواس) أيضا شىء يشبه هذا وهو قوله

وَلِيُّ عهدٍ ماله قَرينُ　　　ولاَ لهُ شبَهٌ ولا خَدِينُ[3]

استغفر اللهَ بلى هارون　　　ياخيرَ منْ كانَ ومن يكون

الاّ النبي المصطَفى المأمون

فصير هارون شبيها بولى العهد ولم يستثن بهارون فكأنه خير منه وليس خيرا منه لانه شبيهه أو كشبيهه وليس بشبيهه لانه خير منه وهذا جمع بين النفى والاثبات * ومما يجرى هذا المجرى وقد انكره الناس وعابوه قول زهير ابن أبى سلمى

---

(١) الجهل : الظلم . (٢) ان يحينا : ان يقتل . (٣) الخدين : الصاحب

قف بالديارِ التى لم يعفها القِدَم بلى وغيرَها الأرواح والديم [١]

(ومن عيوب المعانى)

ايقاع الممتنع فيها فى حال مايجوز وقوعه ويمكن كونه والفرق بين الممتنع والمتناقض الذى تقدم الكلام عليه أن المتناقض لايكون ولايمكن تصوره فى الوهم والممتنع لايكون ولكن يمكن تصوره فى الوهم ومما جاء فى الشعر وقد وضع الممتنع فى مايجوز وقوعه قول أبى نواس

يا أمينَ اللهِ عش أبداً دُم على الأيامِ والزمنِ

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله عش ابدا أمرا أو دعاء وكلا الامرين مما لايجوز ومستقبح ولعل معترضا يعترض هذا القول منا فى هذا الموضع فيقول انه مناقضة لما استجزناه ورأيناه صوابا فى صدر هذا الكتاب من الغلو ويجعل قول أبى نواس هذا غلوا فيلزمنا تجويزه كما فصلنا تجويز الغلو ونحن نقول أن هذا وما أشبهه ليس غلوا ولا افراطا بل خروجا عن حد الممتنع الذى لايجوز أن يقع لأن الغلو انما هو تجاوز فى نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجا عن طباعه الى مالايجوز أن يقع له لان الذى يكون قلنا انه جائز مثل قول النمر بن تولب

تظلُّ تحفرُ عنهُ أن ضربتَ بهِ بعد الذراعينِ والساقينِ والهادى [٢]

فليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين والهادى وأن يؤثر بعد ذلك ويغوص فى الارض ولكنه مما لايكادان يكون وكذلك ماقلناه فى ماقال مهلهل

فلولا الريحُ اسمعَ من بحجرٍ صليل البيض تقرع بالذكورِ [٣]

---

(١) لم يعفها . القدم : لم يبلها ويدرسها ويمح أثرها قدمها . بلى وغيرها الخ : والاستدراك هنا ببل ليدل على أن بعضها عفا والبعض الآخر لم يعف .

(٢) و (٣) تقدم شرحها فى ص ٣٥

فانه أيضا ليس يخرج عن طباع أهل حجر أن يسمعوا الاصوات من الاماكن البعيدة ولا خارج عن طباع البيض أن تصل ويشتد طنينها بقرع السيوف اياها ولكن يبعد ببعد المسافة بين موضع الوقعة وحجر بعدا لا يكاد يقع وليس فى طباع الانسان أن يعيش أبدا فانا كنا قد قدمنا أن مخارج الغلو انما هى على (يكاد) وليس فى قول أبى نواس عش أبدا موضع يحسن فيه لانه لا يحسن على مذهب الدعاء أن يقال أمين يكاد أن يعيش ابدا

(ومن عيوب المعانى)

مخالفه العرف والاتيان بما ليس فى العادة والطبع مثل قول المرار

وخالٍ على خدَّيك يَبدو كأَنه سنَا البرْق فى دعجاء[1] بادٍ دجونها

فالمتعارف المعلوم ان الخيلان سوداء وما قاربها فى ذلك اللون والخدود الحسان انما هى البيض وبذلك تنعت فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى (ومن هذا الجنس) قول الحكم الخضرى

كانتْ بَنو غالب لأُمتها كالغيثِ فى كلّ ساعةٍ يَكفُ[2]

فليس المعهود أن يكون الغيث واكفا فى كل ساعة

(ومن عيوب المعانى)

أن ينسب الى الشىء ما ليس له كما قال خالد بن صفوان

فأنْ صورةٌ راقتْكَ فاخبُر فربمَا أمرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ

فهذا الشاعر بقوله أمر مذاق العود والعود أخضر كأنه يومىء الى أن سبيل العود الاخضر فى الأكثر أن يكون عذبا أو غير مر فهذا ليس بواجب لانه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر . ولنتبع ما تكلمنا به فى عيوب المعانى بما فى الأقسام الاربعة المؤتلفة من ذلك

---

(١) الدعجاء . او المحاق وهى ليلة ثمانية وعشرين . دجونها : الدجن : المطر الكثير .
(٢) يكف : يقطر .

(عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى)

(فمنها الاخلال) وهو ان يترك من اللفظ ما به يتم المعنى مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن مسعود

أعاذلَ عاجلُ مالِي أحبُّ الىَّ من الأكثَرِ الرائثِ[١]

فانما أراد أن يقول عاجل مالى مع القلة أحب إلى من الأكثر البطيء فترك مع القلة وبه يتم المعنى (ومثل ذلك قول عروة بن الورد)

عجبتُ لهُم إذ يَقتلُون نفوسهم ومقتلُهم عند الوَغى كان أعذَرَا

وانما أراد أن يقول عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم فى السلم ومقتلهم عند الوغى اعذر فترك فى السلم (ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة)

والعيشُ خيرٌ فى ظِلَالِ النَّوكِ مِمنْ عاشَ كدَّا[٢]

فاراد أن يقول والعيش خير فى ظلال النوك من العيش بكد فى ظلال العقل على انه لو قال ذلك لكان فى هذا الشعر خلل آخر وهو ان الذى يظهر انه أراده هو أن يقول أن العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل فاخل بشيء كثير (ومن هذا الجنس) نوع آخر وهو كما قال بعضهم

لا يَرمضُونَ اذا حرَّتْ مَشافِرُهم ولا تَرى مِنهُم فى الطَّعنِ مَيالا[٣]

---

(١) يقال: ما أرائك ما أبطاك وهو ريث ليس بطيء ومريث العينين بطيء النظر ويروى فى الموشح للمزرباني نقلا عن هذا الكتاب ص ١٣٣ برواية أخري هى

أعاذل عاجل ما اشتهي أحب من الاكثر الرائث

(٢) النوك: بالضم الفتح والحمق والجنون والجمع نوكي وهو ونوك لسكرى وهوج

(٣) لا يرمضون: يقال: رمض النصل يرمضه جعله بين حجرين املسين ثم دقه ليرق. وشفرة رميض بين الرماضة وقيع حديد

وَيفشلونَ ، إذا نادى ربيئُهُم ألاَ اركبَن فقدا نستُ أبطالاَ[١]

فاراد أن يقول ولا يفشلون فحذف (لا) فعاد الى الضد (ومن عيوب هذا الجنس) عكس العيب المتقدم وهو أن يزيد فى اللفظ ما يفسد به المعنى مثال ذلك قوله

فمَا نطفةٌ من ماءِ مَحْض عذيبةٌ تَمنَّع من أيدى رُقاة تَرومُها[٢]

بأطيبَ مِنْ فِيهَا لو انك ذقتهُ إذا ليلةٌ أسجتْ وَغارتْ نجومُهَا[٣]

فقول هذا الشاعر لو انك ذقته زيادة توهم انه لولم يذقه لم يكن طيبا

(عيوب ائتلاف اللفظ والوزن)

(منها الحشو) وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج اليه لاقامة الوزن مثال ذلك ما قال ابو عدى العبشمى

نحن الرؤوسُ وما الرؤوس إذا سمتْ فى المجدِ للأقوامِ كالأذنابِ

فقوله للاقوام حشو لا منفعة فيه (وقال مصقلة بن هبيرة)

ألِكني إلى أهل العِراق رسالةً وخُصَّ بهَا حُيِّيتَ بكر بن وَائل[٤]

فقوله حييت حشو لامنفعة فيه (ومنها التثليم) وهو أن يأتى الشاعر بأشياء يقصر عنها العروض فيضطر الى ثلمها والنقص منها مثال ذلك قول أمية ابن أبى الصلت

مَاأرى من يغيثُني فى حياتى غيرَ نفسى إلاَ بَني إسرالِ[٥]

---

(١) الربيء : ما تقدم القوم وسار في طليعتهم وعلى وارتفع عنهم :(٢) وأما اذا جعلنا لو للتمني والجمله بعده معترضة وهو الاحسن فلااعتراض على الشارع (٣) اسجت : سكنت (٤) ألكني : أرسلني . (٥) ما ارى من يغيثني فى حياتى : ويروي فى الموشح نقلا عن هذا) لا اري من يعينني فى حياتي .

(وقال فى هذه القصيدة)

أيّما شاطنٍ عصاه عَداه كم تلقى فى السجنِ والأكبال ١

(وقال علقمة بن عبدة)

كأن ابريقهم ظبىٌ على شرف مقدّم بسبا الكتّان ملثوم ٢

أراد بسبائب الكتان فحذف للعروض (وللبيد) درس المنا بمتالع فأبانا أراد بالمنا بالمنازل

(ومنها التذنيب) وهو عكس العيب المتقدم وذلك أن يأتى الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر الى الزيادة فيها مثل ما قال الكميت

لا كعبد المليك أو كيزيد أو سليمان بعدُ او كهشامِ

فالملك والمليك اسمان لله عز وجل وليس اذا سمى انسان بالتعبد لاحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر كما أنه ليس من سمى عبد الرحمن هو كمن سمى عبد الله (ومن هذا الجنس التغيير) وهو أن يحيل الاسم من حاله وصورته الى صورة أخرى اذا اضطره الوزن الى ذلك كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام

ونسجِ سُليم كل قصّاء ذائلِ

وكما قال آخر

من نسج داودَ أبى سلّامِ

(ومنه التعطيل) وهو أن لا ينتظم نسق الكلام على ما ينبغى لمكان العروض فيقدم ويؤخر كما قال دريد بن الصمة

وبلّغ نميراً إن عرضت ابنَ عامرٍ فأى أخٍ فى النائباتِ وصاحبِ

(١) عصاه عداه : وروى في المرشح ص ٢٣٤ بدل غداه عطاه . كم تلقى وروي ايضا ثم يلقى . (٢) ملثوم : وروي مرثوم وهو ما فى أنفه بياض

ففرق بين نمير بن عامر بقوله ان عرضت وكما قال ابو عدى القرشى

خيرِ راعى رعيةٍ بره الله هشام وخيرُ مأوى طريدِ

(عيوب ائتلاف المعنى والوزن معا)

(منها المقلوب) وهو أن يضطر الوزن الشاعر الى احالة المعنى وقلبه الى خلاف ما قصد به (مثال ذلك لعروة بن الورد)

فَلَوْ أنيّ شهدتُ أبَا سعَاذ غَدَاة غدا بمهجته يفُوقُ

فَدَيتُ بنفْسه نَفسِي وَمَالِي وما آلوكَ إلاَّ مَا أطيقُ

أراد أن يقول فديت نفسه بنفسى فقلب المعنى (وللحطيئة)

فلمَّا خشيتُ الهون والعيرُ ممسِكٌ علي رَغمِهِ ماأثبت الحبلُ حافره

أراد الحبل حافره فانقلب المعنى (ومنها المبتور) وهو أن يطول المعنى عن ان يحتمل العروض تمامه فى بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه فى البيت الثانى مثال ذلك قول عروة بن الورد

فلو كاليوم كانَ عَلىّ أمرى ومن لكَ بالتَّدبرِ فى الامور

فهذا البيت ليس قائما بنفسه فى المعنى ولكنه أتى بالبيت الثانى فقال

إذا لملكتُ عصمةَ أم وهبٍ عليَ ماكانَ من حَسكِ الصدُورِ[1]

فالمعنى فى البيت الاول ناقص فأتمه فى البيت الثانى

(عيوب ائتلاف المعنى والقافية)

(منها) أن تكون القافية مستدعاة قد تكلف فى طلبها فاستعمل معنى سائر البيت مثل ما قال ابو تمام الطائى

كالظبية الأدماء صافَتْ فارتعت زهرا بدار الغَضّ والجثجاثا[2]

---

(١) الحسك : نوع من النبات له ثمر كالحصا شائك وهذا كناية عن شدة الغيظ الكامن في نفسه (٢) زهرا بدار الغض : هكذا فى الاصل ويروى في الديوان زهر العرار الغض .البيت

فجميع هذا البيت مبنى على طلب هذه القافية والا فليس فى وصف الظبية بانها ترتعى الجثجاث كثير فائدة لانه انما توصف الظبية بانها ترتعى الجثجاث اذا قصد نعتها باحسن أحوالها بان يقال انها تعطو الشجرة لانها حينئذ تكون رافعة رأسها وتوصف بان ذعرا يسيرا قد لحقها كما قال الطرماح

مِثل ماعاينت مخروفة　　　نصها ذاعر روع مؤام

فاما بان ترتعى الجثجاث فلا أعرف له معنى فى زيادة الظبية لا سيما والجثجاث ليس من المراعى التى توصف بان ما يرتعى يؤثره (ومن عيوب هذا الجنس) ان يؤتى بالقافية لان تكون نظيرة لاخواتها فى السجع لا لان لها فائدة فى معنى البيت كما قال على بن محمد البصرى

وسابقة الاذيال زغف مفاضة　　　تكنفها منى البجاد المخطط

فليس لان يكون هذا البجاد مخططا صنع فى صفة الدروع وتجويد نعتها ولكنه أتى من أجل السجع (ومن هذا الجنس) قول أبى عدى القرشى

ووقيت الحتوف من وارث وال وابقاك صالحا رب هود

فليس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل الى انه رب هود اجود من نسبته الى انه رب نوح ولكن القافية كانت دالية فاتى بذلك للسجع لا لافادة معنى بما أتى منه

والله أعلم

الخطأ والصواب

قد تم بحمد الله طبع هذا الكتاب ولم آل جهدا فى الاعتناء بتصحيحه حتى يخرج للقارىء سليما من الغلطات المشوهة لجماله ولكن على الرغم من حرصى الشديد قد وقع فيه بعض أغلاط لاتخفى على القارىء الفطن وقد وددت ان اكتفى بذلك اعتمادا على ذكاء القارىء ولكنى رأيت اتماما للفائدة ذكرها فيما يأتى وهى:

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٢	شأن الى شؤن	شأن من شؤون
٨	١١	زعم البوارج	زعم البوارح
٩	١٥	شفا من الداء	شفاها من الداء
٨	٢	عند احتضار	عند احتضاره
٢١	٢١	الناجبه	الناجيه
٢٣	٢٢	او ذات الثدي	ذات الثدي
٢٤	١	فدفهتها	فدفعتها
٢٤	٥	فاذا سكمرت	فاذا سكرت
٢٦	١٨	السلفى	السفلى
٢٦	١٨	السبب	السبسب
٢٩	٢٢	علو الهم	علو الهمة
٥٠	١	ربيع	ربيع
٥١	١	من ذئير الحرب	من زئير الحرب
٥١	٤	هلال لاطراد	حلال لاطراد
٥٣	٣	له كالئ	له كالئ
٥٣	٥	نواجد	نواجذ
٥٣	٢٠	المرا به	المراد به
٦٠	١٧	الحشِا	الحشَا
٦٢	٣	وانى لَصادق	وانى لِصادق
٦٢	١٤	فى مسسكعة	فى مسكعة

﴿ تابع الخطأ والصواب ﴾

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٣	١٤	جمْعا	جمعا
٧٢	١٥	والصفا	والصفايا
٨٠	٢٠	فقال المجاجن	فقال الماجن
٨٤	٩	ابجف	أعجف
٨٩	٣	موصف	موصوف
٩٦	٤	رأزنا	زرأنا
٩٦	٩	فقد أشار الفجر ظريفة	فقد أشار الى الفجر أشارة ظريفة
٩٧	١٤	عِنْدما	عَنْدَما
٩٨	٤	في السما سَرَجا	في السما سُرُجا
١٠١	١٤	الجَمَان	الجُمَان
١١٠	٢٠	الاديم الطعام	الاديم الجلد
١١٢	١١	الفَ الفَ	الفُ الفُ
١١٢	٢٢	البغاث سله	البغاث مثله
١١٤	٢٢	يغنى عناه	يغني غناه
١١٥	٨	ان المغبره	ان المعبره
١١٥	١٣	يا ابن النطاقين	يا ابن ذات النطاقين
١١٧	١٢	وتومص	وتومض
١٢٨	١٨	على الشارع	على الشاعر

﴿ فهرس كتاب نقد الشعر ﴾

تم بعون الله طبع هذا الكتاب فى يوم السبت ١٤ شوال سنة ١٣٥٣ الموافق ١٩ يناير سنة ١٩٣٥

DATE DUE